الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université d'Alger3
Faculté des sciences de l'information et de la communication

كلية علوم الإعلام والاتصال

قسم الاتصال

مطبوعة بيداغوجية لدروس و محاضرات في مقياس

أنثروبولوجيا اجتماعية و ثقافية

موجهة لطلاب السنة الثانية ليسانس

من إعداد الأستاذة المحاضرة –أ-: بن ا حميدة آمنة

السنة الجامعية 2022/2021

المجلس العلمي	المكتبة

البرنامج السداسي للمقياس

المقدمة

I. مفاهيم أولية حول الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية

أولا - مفهوم الأنثروبولوجيا

1. تعريف الانثروبولوجيا لغة و اصطلاحا

2. طبيعة الأنثروبولوجيا

3. أهداف دراسة علم الأنثروبولوجيا

5. أهمية الدراسات الأنثروبولوجية

6. الفرق بين الانثروبولوجيا و الاثنولوجيا و الاثنوغرافيا

ثانيا - مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية

1. تعريف الأنثروبولوجيا الاجتماعية

2. أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية

ثالثا- مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية

1. تعريف الأنثروبولوجيا الثقافية

2. نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطّورها

3. أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية

II. نشأة الأنثروبولوجيا و تاريخها

أولا : الانثروبولوجيا في العصر القديم

1. عند الإغريق أو اليونانيين القدماء

2. عند الرومان

3. عند الصينيين القدماء

ثانيا - الانثروبولوجيا في العصور الوسطى

1. عند الأوروبيون

2. عند العرب و المسلمون

ثالثاً - الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية

III. الاتجاهات و النظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا

أولا - أهمية نظريات علم الأنثروبولوجيا

ثانيا - التقاليد النظرية لعلم الانثروبولوجيا

- النظرية الاجتماعية أو الاتجاه التطوري

ثالثا -الاتّجاهات المعاصرة في دراسة الأنثروبولوجيا

1. الاتّجاه التاريخي

2. الاتّجاه البنائي الوظيفي

IV. مفهوم الثقافة و طبيعتها و علاقتها بالفرد و المجتمع

أولا - مفهوم الثقافة

1. تعريف الثقافة لغة

2. تعريف الثقافة اصطلاحا

ثانيا - أنواع الثقافة

ثالثا - طبيعة الثقافة

1. السمة الثقافية

2. النمط الثقافي

رابعا -علاقة الفرد بالثقافة (أثر الثقافة على الفرد و المجتمع)

V. اثنوغرافيا الاتصال

أولا - مفهوم الاثنوغرافيا

1. تعريف الإثنوغرافيا

2. أهداف الإثنوغرافيا

3. أنواع الاثنوغرافيا

4. المجموعة الإثنية أو العرقية "

ثانيا- مفهوم اثنوغرافيا الاتصال

1. الاتصال تجربة انثروبولوجية

2. تعريف اثنوغرافيا الاتصال

VI. التطور التاريخي لثقافة المجتمعات، وصيرورة التغيرات الاجتماعية و الثقافية

أولا : مفهوم التطور الثقافي

ثانيا مفهوم التطور الثقافي الاجتماعي

ثالثا: التغيّر "الاجتماعي-الثقافي "في عصر الوسائط الرقمية

1. أولا : مفهوم التطور الثقافي
2. ثانيا مفهوم التطور الثقافي الاجتماعي
3. ثالثا: التغيّر "الاجتماعي-الثقافي" في عصر الوسائط الرقمية

VII. العولمة، اللغات والهويات

أولا: اللّغة

أ- المعنى اللّغوي

ب- المعنى الاصطلاحي

ثانيا- الهوية:

أ- المعنى اللغوي

ب- المعنى الاصطلاحي

ثالثا- العولمة

أ- الاشتقاق اللغوي

ب- المعنى الاصطلاحي

استنتاج الترابط و التناقض بين المفاهيم

VIII. المشكلات الانثروبولوجية المعاصرة

لقد تقلص العالم

الأنثروبولوجيا: علم بدون موضوع؟

عندما يكون الساكن الأصلي مرادفاً للساكن المعوز

شعوب ترفض أن تكون موضع تحقيق

الأنثروبولوجياعلم "الداخل" بعدما كانت علم "الظاهر"

التنوع، مبرّر وجود الأنثروبولوجيا

IX. الدارسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال

أولا : الاستشراق كدارسة أنثروبولوجية

ثانيا : ألفرد بل وبيار بورديو

1. - ألفرد بل ودارسته لمساجد بني سنوس

3. بيار بورديو و دراسته للمجتمع القبائلي

4.

الفهرس

المقدمة..... ;..... 11

I. مفاهيم أولية حول الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية..... 13

أولا - مفهوم الأنثروبولوجيا 13

1. تعريف الانثروبولوجيا لغة و اصطلاحا 13
2. طبيعة الأنثروبولوجيا 15
3. أهداف دراسة علم الأنثروبولوجيا 16
5. أهمية الدراسات الأنثروبولوجية.....17
6. الفرق بين الانثروبولوجيا و الاثنولوجيا و الاثنوغرافيا 17

ثانيا - **مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية**.....17

1. تعريف الأنثروبولوجيا الاجتماعية 17
2. أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية 19

ثالثا - **مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية** 22

1. تعريف الأنثروبولوجيا الثقافية 22
2. نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطّورها 22
3. أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية.....25

II. نشأة الأنثروبولوجيا و تاريخها..... 29

أولا : **الانثروبولوجيا في العصر القديم** 29

1. عند الإغريق أو اليونانيين القدماء.....29
2. عند الرومان 29
3. عند الصينيين القدماء 30

ثانيا - **الانثروبولوجيا في العصور الوسطى**.....31

1. عند الأوروبيون 31
2. عند العرب و المسلمون 32

ثالثاً - **الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية**.....35

III. الاتجاهات و النظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا..... 41

أولا - **أهمية نظريات علم الأنثروبولوجيا**.....41
ثانيا - **التقاليد النظرية لعلم الانثروبولوجيا**.....41
1. النظرية الاجتماعية أو الاتجاه التطوري 41
ثالثا -**الاتّجاهات المعاصرة في دراسة الأنثروبولوجيا**.....43
1. الاتّجاه التاريخي 43
2. الاتّجاه البنائي الوظيفي.....46
IV. مفهوم الثقافة و طبيعتها و علاقتها بالفرد و المجتمع..... 48
أولا - مفهوم الثقافة.....48
1. تعريف الثقافة لغة.....48
2. تعريف الثقافة اصطلاحا 48
ثانيا - أنواع الثقافة.....49
ثالثا - طبيعة الثقافة.....50
1. السمة الثقافية 50
2. النمط الثقافي 50
رابعا -علاقة الفرد بالثقافة (أثر الثقافة على الفرد و المجتمع).....51
V. اثنوغرافيا الاتصال..... 53
أولا - **مفهوم الاثنوغرافيا** 53
1. تعريف الإثنوغرافيا 53
2. أهداف الإثنوغرافيا 55
3. أنواع الاثنوغرافيا 56
4. المجموعة الإثنية أو العرقية "..... 57
ثانيا- **مفهوم اثنوغرافيا الاتصال** 58
1. الاتصال تجربة انثروبولوجية.....58
2. تعريف اثنوغرافيا الاتصال 59
3. نشأة إثنوغرافيا الاتصال 60
4. خصائص اثنوغرافيا الاتصال 60

VI. التطور التاريخي لثقافة المجتمعات، وصيرورة التغيرات الاجتماعية و الثقافية 61

أولا : مفهوم التطور الثقافي..... 63

ثانيا مفهوم التطور الثقافي الاجتماعي..... 64

ثالثا: التغيّر "الاجتماعي-الثقافي "في عصر الوسائط الرقمية..... 65

1. مفهوم التغيّر.....66
2. ماهية التغيرات في العلاقات الاجتماعية والثقافية 67
3. ملامح ودلالة التغيّر "الاجتماعي-الثقافي "في عصر الوسائط الرقمية.....69

VII. العولمة، اللغات والهويات..... 73

أولا: اللّغة.....75

أ- المعنى اللّغوي:.....75

ب- المعنى الاصطلاحي:.....76

ثانيا - الهوية: 77

أ- المعنى اللغوي:.....77

ب- المعنى الاصطلاحي:.....78

ثالثا - العولمة:.....80

أ- الاشتقاق اللغوي: 80

ب- المعنى الاصطلاحي:.....81

استنتاج الترابط و التناقض بين المفاهيم.....83

الترابط :تترابط المفاهيم المذكورة فيما بينها في عدة نقاط أهمها:.....83

التعارض: تتعارض المفاهيم المذكورة في عدة نقاط أهمها ما يلي: 83

التداخل-: تتداخل المفاهيم المذكورة مع بعضها البعض في عدة نقاط أهمها: 84

VIII. المشكلات الانثروبولوجية المعاصرة..... 85

لقد تقلص العالم 86

الأنثروبولوجيا: علم بدون موضوع؟.....87

عندما يكون الساكن الأصلي مرادفاً للساكن المعوز 90

شعوب ترفض أن تكون موضع تحقيق.....91

الأنثروبولوجيا علم "الداخل"بعدما كان علم "الظاهر" 93

التنوع، مبرّر وجود الأنثروبولوجيا.....94

IX. الدارسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال..... 96

أولا : الاستشراق كدارسة أنثروبولوجية 97

ثانيا : ألفرد بل وبيار بورديو 97

1. - ألفرد بل ودارسته لمساجد بني سنوس.....97

2. بيار بورديو و دراسته للمجتمع القبائلي 101

المراجع.....104

الكتب باللغة العربية 104

الكتب باللغة الانجليزية 107

الكتب بالفرنسية 108

مواقع الانترنت 108

المقدمة

تعددت الدراسات و الاتجاهات التي تناولت الأنثروبولوجيا ، في الأونة الأخيرة ، بوصفها علماً حديث العهد ، على الرغم من مرور ما يقرب من القرن وربع القرن على نشأة هذا العلم، و اتسعت مجالات البحث و الدراسة في هذا العلم الجديد و تداخلت موضوعاته مع موضوعات بعض العلوم الأخرى لا سيما علوم الاحياء و الاجتماع و الفلسفة ، كما تعددت مناهجه النظرية و التطبيقية في المرحلة الأخيرة ،تبعا للتغيرات الكبيرة و المتسارعة و التي كان لها آثار واضحة في حياة البشر كأفراد و مجتمعات .

وبما أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة الانسان ، شأنها في ذلك شان العلوم الإنسانية الأخرى فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الإنساني الذي توجد فيه حيث تعكس بنيته الأساسية و القيم السائدة فيه و بالتالي تخدم مصالحه في التحسين و التطوير.

ثمة من يرجع بدايات تاريخ الانثروبولوجيا إلى العصور القديمة ، إلا أن الانثروبولوجيون الغربيون و الاوروبيون خاصة يرون أن الأصول النظرية الأساسية لعلم الانثروبولوجيا، ظهرت في عصر التنوير في أوروبا (عصر النهضة الاوروبية) حيث تمت كشوفات جغرافية و ثقافية لا يستهان بها ، لبلدان و مجتمعات مختلفة خارج القارة الاوروبية .

و قد قدمت هذه الكشوفات معلومات هامة عن الشعوب القاطنة في تلك البلدان، أدت إلى تغيرات جذرية في الاتجاهات الفلسفية السائدة آنذاك، عن حياة البشر و طبيعة المجتمعات الإنسانية و ثقافاتها ما أدى إلى تطوير المعرفة الانثروبولوجية و استقلالها فيما بعد عن الفلسفة الاجتماعية .

لقد انحسرت الفلسفة – الى حد ما - في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أمام التفكير العلمي حيث تطورت العلوم الاجتماعية و استطاع العالم البريطاني إدوارد تايلور E. Tylor أن يرى في تنوع أساليب حياة الشعوب و تطورها ظاهرة جديرة بالدراسة ، و أن علما جديدا يجب أن ينشأ و يقوم بالمهمة و سمى تايلور هذه الظاهرة الثقافة أو الحضارة .

و مع دخول الانثروبولوجيا القرن العشرين بأحداثه وتغيراته الاجتماعية و الثقافية و السياسية طرأت عليها عدة تغيرات جوهرية في موضوعها و منهج دراستها حيث تخلت عن المنهج النظري و أخذت بالمنهج التطبيقي باعتبارها ظاهرة علمية ، بالإضافة الى تحديد علاقة التأثر و التأثير بينها و بين منظومة العلوم الاجتماعية و الإنسانية الأخرى. حيث أصبحت النظرة الشاملة تميز المنهج الانثروبولوجي ، الذي يتطلب دراسة كلية متكاملة ، تحيط بأبعاده المختلفة ، و بتلك التفاعلات المتبادلة بين أبعاد هذا الموضوع و جوانب الحياة الأخرى السائدة في المجتمع خاصة الاجتماعية و الثقافية.

و يأتي هذا المقياس ليلخص أهم الجوانب النظرية و التطبيقية و أهم التحديات التي يواجهها هذا العلم .

I. مفاهيم أولية حول الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية

أولا - مفهوم الأنثروبولوجيا

1. تعريف الانثروبولوجيا لغة و اصطلاحا

لفظة الأنثروبولوجيا**Anthropology** هي كلمة انجليزية مشتقة من الأصل اليوناني ، تتكون من مقطعين أنثروبوس**Anthropos** و معناه الانسان و**Locos** لوجوس و معناه علم وبذلك يصبح معنى الانثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الانسان " أي العلم الذي يدرس الانسان .[1]

و لذلك تعرف الأنثروبولوجيا بأنها العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو كائن عضوي يعيش في مجتمع تسوده نظم و انساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة ، و يقوم بأعمال متعددة و يسلك سلوكا محددا ، و هو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية و الحياة الحديثة المعاصرة و يحاول التنبؤ بمستقبل الانسان معتمدا على تطوره الإنساني الطويل. و لذلك يعتبر علم دراسة الانسان (الأنثروبولوجيا) **علما متطورا يدرس الانسان و سلوكه و اعماله.**[2]

إن اصطلاح الأنثروبولوجيا اصطلاح **شامل وواسع** يشمل دراسة التطور البيولوجي والحضاري للإنسان، العلاقات التي تحكم علاقات الشعوب بعضها ببعض. و الأنثروبولوجيا كعلم تنقسم الى قسمين: **الأنثروبولوجيا الفيزيقية أو البيولوجية** و **الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية.**

تهتم الأنثروبولوجيا الفيزيقية بدراسة تطور الانسان و سلوكه وكذلك الخصائص البيولوجية التي يتباين فيها البشر القدامى و المحدثين، اما الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ،تهتم بدراسة المجتمعات و الثقافات الكثيرة المتنوعة التي تسير عليها المجتمعات، وقد اختصت و عرف عليها انها تهتم بدراسة المجتمعات البدائية.

---

[1] Nicholson, C .(1968**) Anthropology and Education** , London. P.1

[2] أحمد،أبو هلال،**مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية**، المطابع التعاونية، الأردن، عمان 1974،ص 9)

الأنثروبولوجيا عامة تجتمع في علم واحد وتحت اسم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية و العلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها من ناحية على الانسان ككائن بيولوجي و على سلوك الانسان ككائن اجتماعي.

فالانثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيو فيزيائية والاجتماعية والثقافية فهي علم شامل يجمع بين ميادين و مجالات متباينة و مختلفة بعضها عن بعض ، اختلاف علم التشريح عن تطور الجنس البشري و الجماعات العرقية و عن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية و اقتصادية و قانونية و دينية ...الخ و كذلك عن الابداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل : التراث الفكري و أنماط القيم و انساق الفكر و الإبداع الأدبي و الفني و العادات و التقاليد و مظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة و إن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية.[3]

تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية بنظام الثقافة العام الذي يؤطر حياة مجموعة بشرية معينة، علما أن الثقافة تعني "**مجموع الأنظمة الاجتماعية و الاقتصادية و أنظمة التربية و السلطة و أنظمة التبادل و اللغة و الفنون و القيم و المعايير القانونية و الدينية السائدة فيها**، و قد تفرعت مباحث الأنثروبولوجيا الثقافية و الاجتماعية في أواسط القرن 20،إلى فروع متخصصة كل فرع يهتم بجانب من جوانب الثقافة الاجتماعية ،كالدين أو ظواهر الصحة و المرض...وظهرت على الساحة الأكاديمية تخصصات تحمل اسم الانثروبولوجيا ، لكنها تتنوع بتنوع موضوعاتها.

وهذا يتماشى مع تعريف تايلور للأنثروبولوجياحيث عرفها بأنها **الدراسة البيوثقافية المتطابقة للإنسان"** إذ تحاول توضيح العلاقة بين المظاهر البيولوجية المتأصلة للإنسان، وما تلقى من تعليم وتربية اجتماعية، وبهذا المفهوم تتناول الأنثروبولوجيا موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلّق بالإنسان.

[3]أحمدبو زيد، بماذا يحدث في علوم الإنسان والمجتمع، مجلّة عالم الفكر، مجلّد 8،عدد 1 ،الكويت1977 ،ص 7

2. طبيعة الأنثروبولوجيا

تُسمي الشعوب المتكلمة باللغة الإنجليزية علم الأنثروبولوجيا **بعلم الإنسان وأعماله** بينما يطلق المصطلح نفسه في الدول الأوروبية غير المتحدثة بالإنجليزية بدراسة **الخصائص الجسمية للإنسان**

ويصل هذا التباين إلى طبيعة دراسة الأنثروبولوجيا. ففي أوروبا تعني الأنثروبولوجيا **الفيزيقية**، وتصنف إلى اثنين من العلوم وهما الآثار واللغويات كأفرع منفصلة، و في أمريكا يعتمد مصطلح **الإثنولوجيا أو الإثنوغرافيا** لشرح **الإثنوغرافيا الثقافية** والتي يطلق عليها البريطانيون **الأنثروبولوجيا الاجتماعية.**

ففي إنجلترا على سبيل المثال، يطلق علم الأنثروبولوجيا، على دراسة الشعوب وبيئاتها الاجتماعية، مع اتجاه خاص للتركيز على **دراسة الشعوب البدائية**، أما في أمريكا فيرى الباحثون أن الأنثروبولوجيا، هي علم يهتم **بدراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة**، في حين أن علماء فرنسا يقصدون بهذا المصطلح، دراسة الإنسان **من الجهة الطبيعية أي العضوية**[4]**.**

فعلم الأنثروبولوجيا يصب تركيزه على الإنسان، ويعمل على فهم أشكال الظواهر المتعددة التي تؤثّر فيه. ويحاول استيعاب كلّ ما يمكن معرفته عن طبيعة الانسان ودراسة سلوكه الذي يفوق طبيعته الجسمية**.**

و يستخدم علماء الأنثروبولوجيا الأساليب المتطورة في العلوم الاجتماعية و التي ساهمت في تطور الأنثروبولوجيا و التي تتجزأ إلى جزئين أساسيين: الأنثروبولوجيا الطبيعية تهتم بالإنسان، و بالأنثروبولوجيا الثقافية الحضارية تهتم بأعمال الإنسان**.**

[4]كلايدكلاكهون:**الإنسان في المرآة**، ترجمة : شاكر سليم، بغداد، 1964 ،ص209

واستناداً إلى هذا التقسيم، فقد نهـّجت الباحثة الأمريكية **مارغريت ميد** طبيعة علوم الأنثروبولوجيا وأبعادها، بقولها: "إنّها نظهر الخصائص الإنسانية للجنس البشري **(البيولوجية والثقافية)** كأنساق مترابطة ومتقلبة، وذلك عن طريق **أنماط ومقاييس ومناهج متحضرة.** كما نهتم أيضاً **بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية** وتفسيرها وتحليلها، إضافة إلى البحث **في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته.**

وتأسيساً على ما تم الحديث عنه، فإن الأنثروبولوجيا هي المبحث الذي يهتم بدراسة الإنسان، فهو يدرس نظير الشبه ونظير الاختلاف بينه وبين الكائنات الحية المختلفة من ناحية، ونظير الشبه والاختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان من ناحية أخرى.

3. أهداف دراسة علم الأنثروبولوجيا

انطلاقاً من مصطلح الأنثروبولوجيا وطبيعتها، يمكن تحديد اهدافه كما يلي:

1. وصف أشكال الحياة البشرية والاجتماعية وصفاً شاملاً، وذلك عن طريق مخالطة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتدوين كلّ ما يقوم به أفرادها من أفعال في تعاملهم في الحياة اليومية.
2. تصنيف أشكال الحياة البشرية والاجتماعية بعد دراستها دراسة منطقية وبشكل واقعي، بهدف الوصول إلى أشكال إنسانية مختلفة في أنماط الترتيب التطوري الحضاري الشامل للإنسان: بدائي، زراعي، ثقافي، صناعي، معرفي وتكنولوجي.
3. تحديد أصول التطور الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التطور بدقّة علمية. وذلك بالعودة إلى التراث الإنساني ووصله بالحاضر من حيث المقارنة، وإيجاد أسباب التغيير المختلفة.
4. استنتاج المعطيات والتوقعات لأنماط التغيير المتوقعة، في الظواهر الإنسانية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي تتم دراستها، لإمكانية معرفة مستقبل الجماعات

البشرية التي قامت عليها الدراسة[5].

5. أهمية الدراسات الأنثروبولوجية

يمكن تلخيص أهمية دراسة علم الأنثروبولوجيا بصفة عامة في :

أ) فهم نشأة الإنسان و تطوره الحضاري و الثقافي

ب) توظيف الأنثروبولوجيا في ميادين تطبيقية كالإدارة و الصحة و الاقتصاد و...الخ.

ج) فهم المشاكل المعاصرة كالصراعات والحروب.

د) طرح قضية نسبية الثقافة أي التميز الثقافي.

6. الفرق بين الانثروبولوجيا و الاثنولوجيا و الاثنوغرافيا

الانثروبولوجيا: هي دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية فهي علم شامل يجمع بين ميادين و مجالات متباينة و مختلفة بعضها عن بعض .

الاثنوغرافيا: هي الدراسة التي تقتصر على وصف ثقافة مجتمع ما.

الاثنولوجيا: هي الدراسة بالمقارنة بين الثقافات التي يصفها الاثنوغرافي، والوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية ولظاهرة التغير الثقافي وآثار الاتصال بين مجموعات على أساس مقاييس معينة.

ثانيا - مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية

1. تعريف الأنثروبولوجيا الاجتماعية

تُساهم الدراسات العلمية والثقافية التي تتّم على **فئات بشرية مختلفة** في تطوير الجوانب الحيّاتية المتعدّدة في المجتمع، وذلك وفقاً لعدد من المصطلحات المفاهيمية مثل مصطلح

[5] رالف لينتون،:**الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1974.،ص15

الأنثروبولوجيا الاجتماعية والذي يـُشير في فحواه التعريفّي والاصطلاحّي إلى **دراسات متكاملة لفئات متعدّدة ومكتملة من الثقافات والمجتمعات حول دول العالم** و بالأخص **المجتمعات غير الغربية**، مما أدى إلى ظهور عددٍ من الاختلافات النظرية والمنهجية بين مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية و تخصص علم الاجتماع الذي يرتكز في فحواه العلمي على دراسة **سلوكيات وثقافات المجتمعات الغربية** ، ومن خلال التطوير الفرضّي طّور علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية **أسلوبًا دراسيًا كاملًا** دون اللجوء إلى أّي فرضيات علمية غير مناسبة.[6]

عّرفت الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأّنها : دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتّخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة، والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها. كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات.[7]

وهنا تعّد تصنيفات المؤّسسات والأنظمة الاجتماعية، أدوات نافعة للأغراض الوصفية، كما أّن التعميمات بالنسبة للعلاقات المتداخلة والمتبادلة بين النماذج والمؤّسسات، تساعد في الاهتداء إلى نوع من النظام وسط أوضاع تبدو مشّوشة وغامضة، وفي زيادة الفهم الحقيقي للعمليات الاجتماعية. وفي الوقت ذاته، يعتمد هذا الفهم على دراسة النسق الكلّي الذي يؤلّف النظام الاجتماعي جزءاً منه. ويضّم هذا النسق ثلاثة عناصر متميّزة، هي : شخصّيات الأفراد الذين يؤلّفون المجتمع، والبيئة الطبيعية التي يتعّين على المجتمع أن يكّيف حياته وثقافته معها، وأخيراً المجموعة الكاملة من الوسائل الفنّية اللازمة للمعيشة، التي تضمن استمرار بقاء المجتمع عن طريق نقلها من جيل إلى جيل. [8]

ولذلك، فمن الضروري في دراسة الإنسان وأعماله، أن نميّز بين عبارة " ثقافة " وعبارة " مجتمع " المرافقة لها. فالثقافة – كما في تعريفاتها – هي طريقة حياة شعب ما، أّما المجتمع

---

[6]"**Special Fields Of Anthropology**", www.britannica.com, Retrieved 2020-01-25. Edited

[7]إدوارد بريتشارد، **الأنثربولوجيا الاجتماعية**، ط 5، ترجمة : أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ، (1975) ،ص13

[8] –رالفلينتون،**الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.، 1964، ص 357

فهو تكتّل منظّم لعدد من الأفراد، يتفاعلون فيما بينهم ويتبعون طريقة حياة معّينة .. وبعبارة أبسط : المجتمع مؤلّف من أناس، وطريقة سلوكهم هي ثقافتهم .

وبناء على ذلك، تهدف دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى **تحديد العلاقات المتبادلة بين هذه النظم**، سواء **في المجتمعات القديمة التي تدرس من خلال آثارها المادية والفكرية، أو في المجتمعات الحديثة والمعاصرة**، التي تدرس من خلال الملاحظة المباشرة لمنجزاتها وتفاعلاتها الخاصة والعامة.

ومن حيث النشأة التاريخية والبداية لمفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية نشَأ هذا المفهوم في فترة **المنتصف من القرن الخامس عشر** وما تلاه من فترات زمنية، وذلك من خلال **عددٍ من المستكشفين والتجار** ، ليتطور بعدّ ذلك مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية في حقبة **المنتصف من القرن التاسع عشر كمفهوم ذو غاية فكرية**، وذلك من خلال **تأسيس العديد من المجتمعات العلمية والثقافية في دولٍ متعدّدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وفرنسا**، ومن حيث بداية التأسيس النظريّ التطوريّ لمصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية قام عالم الأنثروبولوجيا البريطانيّ **إدوارد تايلور بفَرض نظرية عن التطوّر** الاجتماعيّ، لتتوالى بعدّ ذلك النظريات الاجتماعية المتطورة والمتنوعة وفقاً للعديد من الثقافات المجتمعية المختلفة.[9]

2. أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية

تهدف دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية إلى العديد من الأهداف أهمها :

أ) تحديد نماذج عالية للأبنية الاجتماعية

إنّ التوصّل إلى نوع من التصنيفات والنماذج للأبنية الاجتماعية، يعدّ أمراً صعباً بالنظر إلى عدم اتّفاق العلماء على هذه النماذج من جهة، ولعدم وجود مصطلحات عالمية لمفاهيم الأنثروبولوجيا الاجتماعية من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى المشكلة الأساسّية، التي تتمثّل

[9] "**social anthropology**", www.encyclopedia.com, Retrieved 2020-01-25. Edited.

في عدم وجود الدراسات الميدانية الشاملة للمجتمعات الإنسانية جميعها، على الرغم من محاولات الكثير من العلماء الوصول إلى ذلك الهدف.

كرس العالم **رادكليف براون** ثلاثين عاماً في الدراسة، للوصول إلى بعض النماذج العامة للأبنية الاجتماعية. وبفضل جهوده وجهود علماء آخرين، أصبح هناك اتفاق شبه عام على بعض النماذج الأساسية للبناء الاجتماعي، مثال: (**العشيرة – القبيلة – الدولة – الأمّة – المجتمع**).

واستطاع هؤلاء العلماء تحديد الأشكال الأسرية الرئيسة، في المجتمعات الإنسانية. ويعدّ ذلك خطوة هامة نحو الوصول إلى القوانين الاجتماعية، التي يترتّب عليها ذلك التنّوع الملحوظ في الأبنية الاجتماعية المختلفة، وما أطلق عليه اصطلاحاً **(الدراسات المورفولوجية).**

ب)تحديد مظاهر التداخل والترابط بين النظم الاجتماعية

تبدو أهمّية استخدام المنهج الكلّي / المتكامل في الدراسات الأنثروبولوجية، في تحقيق ذلك الهدف الذي يتمثّل في تحديد التأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية، التي تدخل في نطاق البناء الاجتماعي الواحد. ويهتّم العلماء اليوم، بهذا الهدف، إذ لا يوافقون على اقتصار الدراسة الأنثروبولوجية على الجانب الوصفي فحسب، وإنّما لا بدّ من التحليل للكشف عن الوظائف الاجتماعية للنظم الاجتماعية، عن طريق تحديد التأثير المتبادل فيما بينها.

وقد عرضت أمثلة كثيرة عن هذا الموضوع، حيث يطلق العالم براون على الدراسة التي ترمي إلى تحقيق ذلك الهدف اصطلاحاً : **(الدراسة الفيزيولوجية)** تمييزاً لها عن الدراسات الخاصة بالهدف السابق **(الدراسات المورفولوجية)**.

إنّ كل نظام اجتماعي، هو جزء من **وحدة متناسقة متكاملة**، أوسع جدّاً في مداها من النظام نفسه، أمّا العناصر التي تتكّون منها هذه الوحدة، فهي متشابكة ومتداخلة. ولا يمكن فهم النظام

الاجتماعي، إلاّ إذا درس في ضوء علاقته بالوحدة المتناسقة الكبيرة، التي تضمّ عناصر أخرى تظلّ تفرض باستمرار حدوداً على نموّه وعمله. [10]

وبذلك يكون على الباحث – من وجهة النظر الوظيفية -أن يأخذ في الحسبان عاملين أساسيين يلعبان دوراً تبادلياً وفاعلاً في هذا النظام الاجتماعي أو ذاك، وهما: **النموذج الذي يعرفه الأفراد ويؤثّر في سلوكياتهم من جهة، والثقافة التي ينشأ عليه هؤلاء الأفراد**، والتي تعنى بتلبية الحاجات الكلّية للمجتمع من جهة أخرى، وذلك لأنّ **الأنظمة الاجتماعية لا يمكن أن تؤدّي وظيفتها، إلاّ كجزء من المجموع الكلّي للثقافة.**

ج)تحديد عمليات التغيير الاجتماعي

تهدف الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، **إلى تحديد خصائص التغيير الاجتماعي وعملياته**، والتي تحدث في الأبنية الاجتماعية، سواء **ذات المعدّل السريع في التغيير أو المعدّل المتوسّط أو المعدّل البطيء.**

وقد لا حظ **براون** أنّ الدراسات الخاصة بذلك الهدف، اهتّمت بدراسة أثر الحروب الاستعمارية على النظام القبائلي في أفريقيا وآسيا. ولكنّ التغيير الاجتماعي عملية معقّدة، متعدّدة الجوانب ومختلفة العوامل. ولذلك، فهي أعمق في دراستها من حيث الجمع بين عناصر حضارتين مختلفتين. **فعملية التغيير أو التطوّر، تستلزم ظهور أشكال جديدة من الأنماط والأبنية الاجتماعية**، كما تستلزم أيضاً، **الانتقال من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المركّبة.**

فلكلّ مجتمع طريقته الخاصة في الحياة، والتي يطلق عليها العلماء الأنثروبولوجيون مصطلح **" الثقافة ".** ويعتبر مفهوم الثقافة من أهّم الأدوات التي يتعامل معها الباحث الأنثروبولوجي. وكما هي الحال في الأبحاث العلمية الأخرى، تنحصر الخطوة الأولى في جمع الحقائق عن الأنماط الثقافية المختلفة، ويتطلّب هذا من العالم الأثنولوجي، القيام بأبحاث ميدانية في أماكن نائية، وإلى العمل في أنوع مختلفة من المجتمعات. [11]

---

[10]–رالف لينتون، **دراسة الإنسان** ، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، 1964،ص 348

[11]رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، م س ذ، ص 25

وبما أنّ الكائنات البشرية تعيش في تجمّعات (مجتمعات) وتطوّر طرقها الخاصة في الحياة بما يتلاءم مع أوضاعها الخاصة والعامة، فإنّ**للثقافة هنا دوراً كبيراً في عمليات التغيير الاجتماعي، الفكري والسلوكي.**

ومن هنا يتعيّن على الدراسات الأنثروبولوجية أن تحدّد عمليات التغيير الاجتماعي، بطريقة الكشف عن الأنماط والأبنية الاجتماعية الجديدة، وكذلك تحديد كيفيّة تطوّر الظواهر الاجتماعية البسيطة، إلى ظواهر اجتماعية مركّبة.. وهذا يتطلّب الدراسات الميدانية المركّزة، والمعمّقة.

ثالثا - مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية

1. تعريف الأنثروبولوجيا الثقافية

تعرّف الأنثروبولوجيا الثقافية بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معيّنة، وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكاً يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع (الجماعة) المحيط به، يتحلّى بقيمه وعاداته ويدين بنظامه ويتحدّث بلغة قومه .

ولذلك، فإنّ الأنثروبولوجيا الثقافية هي ذلك العلم الذي يهتّم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكياته النابعة من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة. [12]

فالأنثروبولوجيا الثقافية إذن، تهدف إلى **فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها.** كما تهدف إلى **دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي،** وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، وتفسّر بالتالي **المراحل التطوّرية لثقافة معيّنة في مجتمع معيّن** .

2. نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطوّرها

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقلّ عن الأنثروبولوجيا العامة، إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . و يعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنجليزي " **إدوارد تايلور** " الذي

---

[12]– بيلز، رالف ؛هويجرا، هاري **مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة**، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة ،(1977) ص 21 .

يعدّ من روّاد الأنثروبولوجيا، والذي قدّم أول تعريف شامل للثقافة عام 1871 في كتابه " **الثقافة البدائية** " .وقد مرّت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعدّدة، منذ ذلك الحين حتى وصلت إلى ما هي عليه في العصر الحاضر[13].

أ) **مرحلة البداية** : وتمتدّ من ظهور هذه الأنثروبولوجيا وحتى نهاية القرن التاسع عشر. وكانت عبارة عن محاولات لرسم صورة عامة لتطوّر الثقافة منذ القدم، والبحث أيضاً عن نشأة المجتمع الإنساني.

وظهر في هذه الفترة إلى جانب العالم الإنجليزي " تايلور "، العالم الأمريكي " بواز " الذي أخذ بالاتجاه التاريخي في دراسة الثقافات الإنسانية، وذلك من جانبين ؛ أولهما : إجراء دراسات تفصيلية لثقافات مجموعات صغيرة، كالقبائل والعشائر، ومراحل تطوّرها وثانيهما : إجراء مقارنة بين تاريخ التطوّر الثقافي، عند مجموعة من القبائل، بغية الوصول إلى قوانين عامة أو مبادئ ، تحكم نمو الثقافات الإنسانية وتطوّرها. وهذا ما يعطي أهمّية للأنثروبولوجيا باعتبارها علماً له منهجيّته الخاصّة .

ب) **المرحلة الثانية** : وتقع ما بين (1900- 1915 م)، وتعدّ المرحلة التكوينية، حيث تركّزت الجهود في الأبحاث والدراسات، على مجتمعات صغيرة محدّدة لمعرفة تاريخ ثقافتها ومراحل تطوّرها، وبالتالي تحديد عناصر هذه الثقافة قبل أن تنقرض . واستناداً إلى ذلك، جرت دراسات عديدة على ثقافة الهنود الحمر في أمريكا، وتوصّل الباحث الأمريكي وسلر إلى أسلوب يمكن بوساطته من دراسة أي إقليم أو منطقة في العالم تعيش فيها مجتمعات ذات ثقافات متشابهة، أو ما أصطلح على تسميته بـ (المنطقة الثقافية). وقد شبّه وسلر المنطقة الثقافية بدائرة، تتركّز معظم العناصر الثقافية في مركزها، وتقلّ هذه العناصر كلّما ابتعدت عن المركز.

ج) **المرحلة الثالثة** : وتقع ما بين (1915- 1930 م) وتعدّ فترة الازدهار، حيث تميّزت بكثرة البحوث والمناقشات في القضايا التي تدخل في صلب علم الأنثروبولوجيا الثقافية،

[13]Barnouw , V. **Cultural Anthropology** , Home wood Illinois, IrwenInc1972, p.7

ولا سّيما تلك الدراسات التي تركّزت في أمريكا . ويرجع ازدهار الأنثروبولوجيا في تلك الفترة، إلى نضج هذا العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه. وترافق ذلك بازدهار المدرسة التاريخية في أمريكا، وظهور المدرسة الانتشارية في إنجلترا، ولاسّيما بعد الأخذ بمفهوم **(المنطقة الثقافية)** الذي طرحه "وسلر" كإطار لتحليل المعطيات الثقافية وتفسيرها، والتوصّل إلى العناصر المشتركة بين الثقافات المتشابهة.

د) **المرحلة الرابعة** : ومدّتها عشر سنوات فقط، وتقع ما بين (1930- 1940 م). وعلى الرغم من قصر مدّتها، فقد أطلق عليها الفترة التوسّعية، حيث تميّزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثروبولوجيا الثقافية كعلم خاص في إطار الأنثروبولوجيا العامة، وخصّصت لها فروع ومقرّرات دراسية في أقسام علم الاجتماع في الجامعات. وظهرت في هذه الفترة النظرية (التكاملية) التي تبنّاها "سابير" عالم الاجتماع الأمريكي، واستطاع من خلالها تحديد مجموعة متناسقة من أنماط السلوك الإنساني، والتي يمكن اعتمادها في دراسة السلوك الفردي، لدى أفراد مجتمع معّين، حيث أنّ جوهر الثقافة هو في حقيقة الأمر، ليس إلاّ تفاعل الأفراد في المجتمع بعضهم مع بعض، وما ينجم عن هذا التفاعل من علاقات ومشاعر وطرائق حياتية مشتركة وقد تأثّرت الأنثروبولوجيا في هذه الفترة- إلى حدّ بعيد- بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولاسّيما في مفاهيمها ومناهجها، وذلك بفضل الأبحاث التي قام بها كلّ من **مالينوفسكي و براون** في مجالات الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

هـ) **المرحلة الخامسة** : وهي الفترة المعاصرة التي بدأت منذ عام 1940، وما زالت حتى الوقت الحاضر. وتمتاز هذه المرحلة بتوسّع نطاق الدراسات الأنثروبولوجيا، خارج أوروبا وأمريكا، وانتشار الأنثروبولوجيا الثقافية في العديد من جامعات الدول النامية، في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.وترافق ذلك مع ظهور اتّجاهات جديدة في الدراسات الأنثروبولوجية كان الاتّجاه القومي في مقدّمة هذه الاتّجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية، والذي يهدف إلى تحديد الخصائص الرئيسة للثقافة القوميّة. وقد أخذت بهذا الاتّجاه الباحثة الأمريكية "روث بيندكيت" التي قامت بدراسة الثقافة اليابانية

خلال الحرب العالمية الثانية . ويسّمى الاتجاه القومي في تقييم الثقافة : **" الانطوائية القومية "** والتي تعني: أنّ الإنسان يفضّل طريقة قومه في الحياة، على طرائق الأقوام الأخرى جميعها. تلك هي النتيجة المنطقية لعملية التثقيف الأولى، والتي يتّفق بها شعور معظم الأفراد نحو ثقافتهم الخاصة، سواء أفصحوا عن هذا الشعور أو لم يفصحوا . وتتجلّى الانطوائية القومية لدى الشعوب البدائية بأحسن أشكالها ، في الأساطير والقصص الشعبية، والأمثلة والعادات اللغوية.

كانت من أهّم الاتجاهات الحديثة أيضاً في الأنثروبولوجيا الثقافية، تلك الدراسات التي عنيت بالمجتمعات المتمدّنة، وما أطلق عليها " دراسة الحالة ". كدراسة أوضاع قرية أو عدد من القرى المتجاورة، أو منطقة معّينة، أو دراسة ثقافة خاصة بمجموعة أو بفئة من البشر. إضافة إلى دراسات أكاديمية تتعلّق بخصائص الأنثروبولوجيا الثقافية ومبادئها، ومناهج البحث فيها وطرائقها وأساليبها .. وغيرها ممّا يسهم في إجراء الدراسات على أسس موضوعية وعلمية تحقّق الأهداف المرجوة منها.

3. أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية

على الرغم من تعّدد العناصر الثقافية، وتداخل مضموناتها وتفاعلها في النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني، فقد اتّفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة أقسام أساسّية، هي : (علم الآثار – علم اللغويات – وعلم الثقافات المقارن) وفيما يلي شرح لكلّ منها :

أ) علم اللغويات

هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحّية، ولاسّيما المكتوبة منها في السجلاّت التاريخية ، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحّية المستخدمة في الوقت الحالي كالعربية والفرنسية والإنجليزية. ويهتّم دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.

و يلاحظ أنّ فرع اللغويات هو حالياً من أكثر فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، استقلالاً وانعزالاً عن الفروع الأخرى .فدراسة اللغات يمكن أن تجري دون اهتمام كبير بعلاقاتها مع الجوانب الأخرى في النشاط الإنساني، وهذا هو الواقع في حالات كثيرة .ومما لا شك فيه، أنّ اللغات – بما فيها من تراكيب معقّدة وغريبة، وما تنطوي عليه من تنّوع هائل، ولاسّيما عند الشعوب البدائية- تزّود الباحث بمادة دراسية غنّية لا يمكن حصرها .

ولذلك، يعطي ليفي ستروس أهمّية بالغة لِـلُّغَةِ ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أنّ اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميّز الإنسان عن الكائنات الحّية الأخرى. ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية.

ومهما يكن الأمر، فإنّ عملية تحليل اللغات وتصنيفها، كعملية تحليل الأجناس البشرية وتصنيفها، لا تشكّل إلاّ الخطوة الأولى لغيرها من الدراسات المهّمة .فاللغات، على اختلاف أنواعها، تمثّل أداة قّيمة في يد العالم ولا شكّ في أّنها ستساعده في النهاية، على التوصّل إلى فهم أعمق لسيكولوجية الأفراد والمجتمعات.[14]

ب) علم الآثار القديمة(الحفرياتArcheology):

يعنى بشكل خاص بجمع الآثار والمخلّفات البشرية وتحليلها، بحيث يستدلّ منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثّمة وثائق مدّونة (مكتوبة) عنها .ويبحث هذا الفرع من علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولاسّيما الثقافات المنقرضة. ولعلّ علم الآثار القديمة أكثر شيوعاً بين فروع الأنثروبولوجيا، وربّما كانت مكتشفاته مألوفة لدى الشخص العادي أكثر من مكتشفات الفروع الأخرى. ومثال ذلك، أنّ اسم (توت عنخ آمون) أحد ملوك قدماء المصريين، يكاد يكون معروفاً لدى الأوساط الشعبية العامة.[15]

---

[14]لينتون، رالف ،**الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت1967، ص 20
[15]المرجع السابق ، ص 22

وعلى الرغم من أنّ الهدف الأوّل من هذه الأبحاث، هو الحصول على معلومات عن الشعوب القديمة، إلاّ أنّ الهدف النهائي يتمثّل في مساعدة القرّاء والدارسين، في تفهّم العمليات المتّصلة بنمو الثقافات أو (الحضارات) وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسئولة عن تلك التغيّرات .

ج) علم الثقافات المقارن(الأثنولوجياEthnology):

تعتبر الأثنولوجيا من أقرب العلوم إلى طبيعة الأنثروبولوجيا، بالنظر إلى التداخل الكبير فيما بينهما من حيث دراسة الشعوب وتصنيفها على أساس خصائصها، وميزاتها السلالية والثقافية والاقتصادية، بما في ذلك من عادات ومعتقدات، وأنواع المساكن والملابس، والمثل السائدة لدى هذه الشعوب.

ولذلك، تعدّ الأثنولوجيا فرعاً من الأنثروبولوجيا، يختصّ بالبحث والدراسة عن نشأة السلالات البشرية، والأصول الأولى للإنسان. وترجع لفظة (أثنولوجيا) إلى الأصل اليوناني(أثنوس Ethnos)وتعني دراسة الشعوب. ولذلك تدرس الأثنولوجيا، خصائص الشعوب اللغوية و الثقافية والسلالية.[16]

وتدخل في ذلك دراسة أصول الثقافات والمناطق الثقافية، وهجرة الثقافات وانتشارها والخصائص النوعية لكلّ منها، دراسة حياة المجتمعات في صورها المختلفة. أي أنّه العلم الذي يبحث في السلالات القديمة وأصولها وأنماط حياتها، كما يبحث في الحياة الحديثة في المجتمعات الحاضرة، وتأثّرها بتلك الأصول القديمة.

ولذلك، تعرّف الأثنولوجيا بأنّها : دراسة الثقافة على أسس مقارنة وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بقصد استنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطوّرها[17]، وأوجه الاختلاف فيما بينها، وتحليل انتشارها تحليلاً تاريخياً .

---

[16]اسماعيل، قباري محمد ،**الأنثروبولوجيا العامة**، منشأة المعارف بالإسكندرية ،1973، ص 460)

[17]كلوكهون، كلايد ،**الإنسان في المرآة**،ترجمة : شاكر سليم، بغداد،1964 ، ص 31

ويتّفق معظم العلماء على أنّ مصطلح (أثنوجرافيا) يطلق على الدراسة التي تعمد إلى وصف ثقافة ما في مجتمع معّين، بينما يطلق مصطلح (أثنولوجيا) على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة. فالأثنولوجي يهدف من تلك المقارنات الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية، ولظاهرة التغيير الثقافي وآثار الاتصال بين الثقافات المختلفة، كما يهدف الأثنولوجي أيضاً إلى تصنيف الثقافات ضمن مجموعات أو أشكال، على أساس مقاييس (معايير) معّينة.[18]

[18]وصفي، عاطف **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية، بيروت ،1971 ص25.

II. نشأة الأنثروبولوجيا و تاريخها

أولا : الانثروبولوجيا في العصر القديم

يتفق علماء الانثروبولوجيا على أن الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام 1493 ق م إلى بلاد بونت أو الصومال حاليا بهدف التبادل التجاري تعد من أقدم الرحلات التاريخية للتعارف بين الشعوب.

1. عند الإغريق أو اليونانيين القدماء

يعد المؤرخ الإغريقي هيرودوتس المحب للأسفار و الذي عاش في القرن الخامس ق.م أول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم و طرح فكرة التنوع الثقافي في النواحي السلالية و اللغوية و الدينية ، لدلك يعتبره المؤرخون الباحث الانثروبولوجي الأول في التاريخ .

ونجد كذلك أرسطو الذي وضع أوليات الفكر التطوري للكائنات الحية و دلك من خلال ملاحظاته في التركيبات البيولوجية و تطورها في الحيوان .

و الدارسون لأفكار الفلاسفة اليونانيين لاحظوا مدى تأثرهم بالحضارات التي سبقتهم خاصة الحضارة المصرية القديمة .

2. عند الرومان

لا يجد الانثروبولوجيون في الفكر الروماني إسهامات أصلية في دراسة الشعوب و ثقافاتها لكن يستثنى في دلك أشعار كارلوس ثوكرتيوس التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة كالتقدم و التطور و العقد الاجتماعي و الإنسان الأول و اللغة و العادات و التقاليد .

و قد استطاع ثوكرتيوس ان يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية ثم حديدية .....فحسب الانثروبولوجيون بتشابه فكر ثوكرتيوس مع فكر صاحب نظرية التطور موريس مورغان.

3. عند الصينيين القدماء

يعتقد بعض المؤرّخين، ولا سيّما الأنثروبولوجيون منهم، أنّه على الرغم من اهتمام الصينيين القدماء بالحضارة الرومانية وتقديرها، فلم يجدوا فيها ما ينافس حضارتهم.

كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن والهدوء داخل حدود بلادهم، وكانوا مكتفين ذاتياً من الناحية الاقتصادية المعاشية، حتى أن تجارتهم الخارجية انحصرت فقط في تبادل السلع والمنافع، من دون أن يكون لها تأثيرات ثقافية عميقة. فلم يعبأ الصينيون في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، ومع ذلك، لم يخلُ تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية، والتي كانت تتّسم بالازدراء والاحتقار[19]، وهذا الاتّجاه نابع من نظرة الصينيين القدماء العنصرية، إذ كانوا يعتقدون – كالرومان – أنّهم أفضل الخلق، وأنّه لا وجود لأيّة حضارة أو فضيلة خارج جنسهم، بل كانوا يرون أنّهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء .. ولكي يؤكّد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا " سور الصين العظيم " حتى لا تدنّس أرضهم بأقدام الآخرين.[20]

ولذلك، اهتّم فلاسفة الصين القدماء، بالأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية، من خلال الاتجاهات الواقعية / العملية في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها، لأنّ معرفة الأنماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي، في أي مجتمع، تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما بينهم من جهة،

[19] Darnell, Regna and editor .Reading in the History of Anthropology, University of Illinois .1978. p 16

[20] محمد، مؤنس، الحضارة 19 دارسة في أصول وعوامل قيامها و تدهورها ، علم المعرفة ،الكويت ، 1978 ، ص 15.

ويحدّد أفضل الطرائق للتعامل معهم من جهة أخرى. وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، ولا سيّما تلك التي تعنى بالإنسان.

ثانيا - الانثروبولوجيا في العصور الوسطى

1. عند الأوروبيون

وفي العصور الوسطى كان الوضع مختلف عند الأوروبيون إذ تراجعت كل سبل التفكير الفلسفي والتأملات النظرية الأولى في تاريخ الإنسان لصالح التفسيرات الدينية التي كانت تقدمها الكنيسة لفهم طبيعة هذا الكائن وما يحيط به، إلاّ القليل منها التي عملت على تمجيد العنصر الأوروبي المسيحي ووصف الشعوب والمجتمعات الأخرى بأسلوب سادج ومتحيز تغلب عليه ذاتية الكاتب لينفي بذلك علاقته بظهور علم الأنثروبولوجيا.

يذكر المؤرّخون أنّه في هذه العصور الوسطى (المظلمة) تدهور التفكير العقلاني، وأدينت أيّة أفكار تخالف التعاليم المسيحيّة، أو ما تقدّمه الكنيسة من تفسيرات للكون والحياة الإنسانية، سواء في منشئها أو في مآلها. ولكن إلى جانب ذلك، كانت مراكز أخرى وجّهت منطلقات المعرفة، وحدّدت طبيعة الحضارة الغربية في تلك العصور، كبلاط الملوك مثلاً، الذي كان يضم في العادة، فئات من المثقفين كرجال الإدارة والسياسة والشعراء.[21] يضاف إلى ذلك التوسّع في دراسة القانون (جامعة بولونيا) ودراسة الفلسفة واللاهوت (جامعة باريس) ممّا كانت له آثار واضحة في الحياة الأوروبية العامة (السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية) ومهّد بالتالي للنهضة التي شهدتها أوروبا بعد هذه العصور.

لقد ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدّة للكتابة عن بعض الشعوب، إلاّ أنّها اتّسمت –غالباً - بالوصف التخيّلي، بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع. مثال ذلك، ما قام به الأسقف / إسيدور Isidore / الذي عاش ما بين (560- 636) حيث أعدّ في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية، تتّسم بالسطحية والتحيّز.

[21] حسين، فهيم، قصد -فصول في تاريخ الإنسان، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1986، ص 50

وممّا ذكره، أنّ قرب الشـــعوب من أوروبا أو بعدها عنها، يحدّد درجة تقدّمها، فكلّما كانت المسافة بعيدة، كان الانحطاط والتهور الحضاري مؤكّدا لتلك الشعوب. ووصف الناس الذين يعيشــون في أماكن نائية، بأنّهم من ســلالات غريبة الخَلق، حيث تبدو وجوههم بلا أنوف .

وقد ظلّت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر، حيث ظهرت موسوعة أخرى أعدّها الفرنسي باتولو ماكوسBatholo Macus ، والتي حظيت بشعبية كبيرة، على الرغم من أنّها لم تختلف كثيراً عن سابقتها في الاعتماد على الخيال .[22]

2. عند العرب و المسلمون

وتمتدّ من منتصف القرن السابع الميلادي، وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقريباً. حيث بدأ الإسلام في الانتشار، وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية آنذاك بالتكوين والازدهار. وقد تضمّنت هذه الحضارة : الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية.[23]

وقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات العربية الإسلامية، الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، حيث أصبح ذلك من ضرورات التنظيم والحكم .

ولذلك، برز العرب في وضع المعاجم الجغرافية، كمعجم (البلدان) لياقوت الحموي. وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) مثل " مسالك الأمصار " لإبن فضل الله العمري، و " نهاية الأرب في فنون العرب " للنويري

وإلى جانب اهتمام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران ، فقد تميّزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصيّة، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية .

---

[22] المرجع السابق ، ص 52

[23] Darnell, Regna and editor, opcit, p 259

وهناك من تخصّص في وصف إقليم واحد مثل/ البيروني/ الذي عاش ما بين (362 – 440 هجرية) ووضع كتاباً عن الهند بعنوان " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " .وصف فيه المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية. واهتّم أيضاً بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية، بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس. وأبرز البيروني في هذا الكتاب، حقيقة أنّ الدين يؤدّي الدور الرئيس في تكبيل الحياة الهندية، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات، وصياغة القيم والمعتقدات .[24]

كما كانت لرحلات ابن بطوطة وكتاباته خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكياتهم وقيمهم وتقاليدهم. فّما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان : " فمن أفعالهم قلّة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه. ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب. ومنها عدم تعّرضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان (البيض والأجانب) ولو كان القناطير المقنطرة. وإّنما يتركونه بيد ثقة من البيضان، حتى يأخذه مستحقّه. [25]

أّما كتاب ابن خلدون " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " فقد نال شهرة كبيرة وواسعة بسبب مقّدمته الرئيسة وعنوانها : " في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان، والكسب والمعاش والمصانع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب ". وتعتبر هذه المقّدمة عملاً أصيلاً في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال أفريقيا، ولاسّيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كلّ ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة. وقد شكّلت موضوعات هذه المقّدمة – فيما بعد – اهتماماً رئيسياً في الدراسات الأنثروبولوجية.

---

[24] حسين، فهيم، قصد **-فصول في تاريخ الإنسان**، م س د ، ص 54

[25] ابوعبد الله بن بطوطة ،**رحلة ابن بطوطة**، دار التراث، بيروت ، 1968ص:672 .

ومن أهّم الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقّدمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنثروبولوجيا، هي تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية. فقد ردّ ابن خلدون – استناداً إلى تلك الدعامة – اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسّية وصفاتهم الجسمية والخلَقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضاً عاملاً هاماً في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية.[26] كما تناول ابن خلدون في مقّدمته أيضاً، مسألة قيام الدول وتطّورها وأحوالها، وبلور نظرية (دورة العمران) بين البداوة والحضارة على أساس المماثلة بين حياة الجماعة البشرية وحياة الكائن الحي.

وقد سيطرت هذه الفكرة على أذهان علماء الاجتماع في الشرق والغرب – على حدّ سواء – في العصور الوسطى .. حيث اعتبر ابن خلدون أن التطّور هو سّنة الحياة الاجتماعية، وهو الأساس الذي تستند إليه دراسة الظواهر الاجتماعية.

يقول في ذلك : " إنّ أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقّر، وإّنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول[27]. فعمر الدول عند ابن خلدون كعمر الكائن البشري، تبدأ بالولادة وتنمو إلى الشباب والنضج والكمال، ثّم تكبر وتهرم وتتلاشى إلى الزوال .

لقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمّر بها، فكان بذلك، أسبق من علماء الاجتماع في أوروبا. ولذلك، يرى بعض الكتّاب والمؤّرخين، أن ابن خلدون يعتبر المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع، بينما يرى بعضهم الآخر، ولاسّيما علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون، في مقّدمة ابن خلدون بعضاً من موضوعات الأنثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها .وفي أمريكا، أشار ون هونجيمان أيضاً في كتابه " تاريخ الفكر الأنثروبولوجي " إلى أنّ ابن خلدون تناول بعض الأفكار ذات الصلة بنظرية مارفين هاريس

---

[26] عبد الرحمان ابن خلون، **مقدمة ابن خلدون**، ج1،علي عبد الواحد وافي ،القاهرة ، 1966، ص 291.

[27] المرجع السابق، ص 252

عن " المادية الثقافية " Cultural Materialism– ونجد أنّ هاريس ذاته، يذكر أنّ ابن خلدون ومن قبله الإدريسي، قدّما أفكاراً ومواد ساعدت في بلورة نظرية الحتمية الجغرافية، التي سادت إبانّ القرن الثامن عشر.[28]

واستناداً إلى ما تقدّم يمكن القول : إنّ الفلاسفة والمفكّرين العرب أسهموا بفاعلية – خلال العصور الوسطى- في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية، ولاسّيما التنّوع الثقافي (الحضاري) بين الشعوب، سواء بدراسة خصائص ثقافة أو حضارة بذاتها، أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى. ولكن على الرغم من اعتبارها مصادر للمادة الأثنوجرافية التي درست (أسلوب الحياة في مجتمع معّين وخلال فترة زمنية محد ّدة) ولاسّيما العادات والقيم وأنماط الحياة، فإنّ الأنثروبولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر كعلم جديد معترف به، لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات، ولا بغيرها من الدراسات (اليونانية والرومانية) القديمة ..

ثالثاً- الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية

يتّفق المؤرّخون على أنّ عصر النهضة في أوربا، بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي، في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر .

إنّ هذه التغيّرات مجتمعة أدّت إلى ترسيخ عصر النهضة أو ما سّمي (عصر التنوير) وأسهمت بالتالي في بلورة الانثربولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر، كعلم يدرس تطّور الحضارة البشرية في إطارها العام وعبر التاريخ الإنساني. الأمر الذي استلزم توافر الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل المقارنات، والتعّرف إلى أساليب

[28] John. Anderson, Conjuring with Ibn Khaldon: from an Anthropological point of view, Leiden .1984.p 112

حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطورّية معّينة، بحيث يضع تلك أساساً لنشأة علم الأنثروبولوجيا .

لعلّ أهّم رحلة أو(رحلات) استكشافّية مشهورة أثّرت في علم الأنثروبولوجيا، ما قام بها كريستوف كولومبوس إلى القارة الأمريكية ما بين (1492- 1502) حيث زخرت مذكّراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتّسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة . وممّا قاله في وصف سكان جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي : " إنّ أهل تلك الجزر كلّهم عراة تماماً ، الرجال منهم والنساء، كما ولدتهم أمَّهاتهم. ومع ذلك ، فثّمة بعض النساء اللواتي يغطين عورتهنّ بورق الشجر، أو قطعة من نسيج الألياف تصنع لهذا الغرض. ليست لديهم أسلحة ومواد من الحديد أو الصلب وهم لا يصلحون لاستخدامها على أّية حال. ولا يرجع السبب في ذلك إلى ضعف أجسادهم، وإّنما إلى كونهم خجلون ومسالمون بشكل يثير الإعجاب.[29] .

وكتب في وصفه لسكان أمريكا الأصليين : " إّنهم يتمتّعون بحسن الخَلق والخُلُق، وقّوة البنية الجسدية. كما أّنهم يشعرون بحرية التصّرف فيما يمتلكون، إلى حدّ أّنهم لا يتردّدون في إعطاء من يقصدهم أّياً من ممتلكاتهم، علاوة على أّنهم يتقاسمون ما عندهم برضا وسرور[30] " وهكذا كان لرحلات كولومبس واكتشافه العالم الجديد (أمريكا) عام 1492أثرها الكبير في إدخال أوروبا حقبة جديدة، وفي تغيير النظرة إلى الإنسان عامة، والإنسان الأوروبي خاصة، ممّا أثّر بالتالي في الفكر الأنثروبولوجي. وذلك، لأنّ هذه الاكتشافات الجغرافية الاجتماعية وما تبعها من معرفة سكان هذه الأرض بميزاتهم وأنماط حياتهم، أظهرت بوضوح تنّوع الجنس البشري، وأثارت كثيراً من المسائل والدراسات حول قضايا النشوء والتطّور عند الكائنات البشرية.

لقد تميّز عصر النهضة الأوربية، بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان، وهي أنّ المفكّرين اتفقوا، على الرغم من تباين وجهات نظرهم، على مناهضة فلسفة

[29] Wendell, Oswalt. Other People, Other Customs, Holt Rinehart and Winston Inc .1972.p 10.
[30] Daniel .J, Boorstin, The Discoveries a History of Man's Search to Know his World and Himself .Vintage Books edition .1985.p 628.

العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها، وتكوين الطبيعة وقوانينها، وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية.[31] وظهر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتّجاه لدراسة الإنسان، عرف بالمذهب الإنساني (العلمي) اقتضى دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتّجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية التطّورية للإنسان .

وقد تبلور هذا الاتّجاه (المذهب) العلمي في الدراسات التجريبية والرياضية، التي ظهرت في أعمال بعض علماء القرن السابع عشر، من أمثال: فرانسيس بيكون F.Becon (1626 -1561)ورينيه ديكارت R.Decartes(1596-1650) واسحق نيوتن I. Newton (1642-1727)، وغيرهم. حيث أصبحت النظرة الجديدة للإنسان عل أّنه ظاهرة طبيعية، ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي والمنهج التجريبي، ومعرفة القوانين التي تحكم مسيرة التطّور الإنساني والتقّدم الاجتماعي .وهذا ما أسهم في تشكيل المنطلقات النظرية للفكر الاجتماعي، وأّدى بصورة تدريجية إلى بلورة البدايات النظرية للأنثروبولوجيا، خلال عصر التنوير .

أّما بالنسبة للدراسات الأثنوغرافية (دراسة أسلوب الحياة والعادات والتقاليد) والدراسات الأثنولوجية (دراسة مقارنة لأساليب الحياة للوصول إلى نظرية النظم الاجتماعية)، والدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، فثمةّ أعمال كثيرة قام بها العديد من العلماء .

وقد تكون محاولة الرحالة الإسباني جوزيه آكوستا J. Acosta في القرن السادس عشر، لربط ملاحظاته الشخصّية عن السكان الأصليين في العالم الجديد ببعض الأفكار النظرية، المحاولة الأولى لتدوين المادة الأثنوغرافية والتنظير بشأنها.

فقد افترض آكوستا أنّ الهنود الحمر كانوا قد نزحوا أصلاً من آسيا إلى أمريكا، وبذلك فسّر اختلاف حضاراتهم عن تلك التي كانت سائدة في أوروبا حينذاك. وقّدم آكوستا أيضاً افتراضاً

[31] حسين، فهيم، مرجع سابق، ص86

آخر حول تطّور الحضارة الإنسانية عبر مراحل معّينة، معتمداً في تصنيفه على أساس معرفة الشعوب القراءة والكتابة.

وقد وقفت أوروبا في أعلى الترتيب، وأتت بعدها الصين في المرتبة الثانية لمعرفتها الكتابة، بينما جاءت المكسيك في مرتبة أدنى من ذلك .. وصّنفت المجتمعات الأخرى بدرجات متباينة في المواقع الأدنى من هذا الترتيب [32].وربّما شكّل هذا التصنيف أساساً استند إليه الأنثروبولوجيون – فيما بعد- للتمييز بين المجتمعات .

وظهر إلى جانب آكوستا الإسباني في الدراسة الأثنوغرافية عن الشعوب البدائية، عالم الاجتماع الفرنسي، ميشيل دي مونتاني M.De. Montaigne الذي عاش ما بين (1532-1592) وأجرى مقابلات مع مجموعات من السكان الأصليين في أمريكا المكتشفة، والذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوربا. وبعد إن جمع منهم المعلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي، خرج بالمقولة التالية : " إنّه لكي يفهم العالم فهماً جّيداً، لا بدّ من دراسة التنّوع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنّوع " ويكون بذلك قد طرح فكرة (النسبية الأخلاقية).

وممّا قاله في هذا الإطار ما كتبه في مقاله الشهير عن " أكلة لحوم البشر " وجاء فيه : " يبدو أنّ ليس لدينا أي معيار للحقيقة والصواب، إلاّ في إطار ما نجده سائداً من آراء وعادات على الأرض التي نعيش عليها (أوروبا)، حيث نعتقد بوجود أكمل الديانات، وأكثر الطرائق فاعلية في الحصول على الأشياء .

إنّ هؤلاء الناس (أكلة لحوم البشر) فطريون / طبيعيون، مثل الفاكهة البرّية. فقد بقوا على حالهم البسيطة، كما شكّلتهم الطبيعة بطريقتها الخاصة، وتحكّمت فيهم قوانينها وسّيرتهم ".

((Leach,1982,p.67ومن هذه الرؤية، لاقى كتابه الشهير " المقالات " الصادر عام 1579، اهتماماً كبيراً لدى مؤرخي الفكر الأوروبي عامة، والفكر الفرنسي خاصة .

[32] Darnell, Regna and editor, opcit, p 81.

ويأتي القرن الثامن عشر، ليحمل معه كتابات جان جاك روسو J.J. Rossow ، التي احتلّت أهمّية كبيرة لدى مؤرّخي علم الأنثروبولوجيا، وذلك بالنظر لما تضمنته في دراستها الأثنوجرافية للشعوب المكتشفة (المجتمعات البدائية) مقارنة مع المجتمعات الغربية / الأوروبية . لقد تميّزت وجهة النظر الأنثروبولوجية عند روسّو بالتجرّد والموضوعية، حيث تجلّى ذلك في نقد بعض القيم والجوانب الثقافية في مجتمعه الفرنسي، مقابل استحسان بعض الطرائق الحياتية في المجتمعات الأخرى. وفي هذا الإطار، يعدّ كتابه " العقد الاجتماعي" من البواكير الأولى للفكر الأنثروبولوجي.

وكان إلى جانب روسّو، البارون دي مونتسكييه، الذي وضع كتاب (روح القوانين) وأوضح فيه فكرة الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة. وسادت هذه الفكرة الترابطية في أعمال الأنثروبولوجين في أوائل القرن العشرين، ولاسّيما عند الأنثروبولوجيين الإنجليز، حيث انتقل اهتمام مونتسكييه بدراسة النظم السياسية، وتأثير المناخ على نوعّية الحضارة أو الثقافة – فيما بعد – إلى الكتابات الأنثروبولوجية، وشكّل مجالاً واسعاً للدراسات الأنثروبولوجية .[33]

أّما في ألمانيا، فقد تبلور الفكر في عصر التنوير، عن التفّوق العنصري والنزعة القوميّة الشوفينّية (التعصبّية). وظهر ذلك واضحاً في كتابات كلّ من جورج هيجل (1770-1831) وجوهان فخته (1762-1814)، حيث جعلا الشعب الألماني، الشعب الأمثل والأنقى بين شعوب العالم .

أّما كتابات جوهان هيردر (1744-1803) فجاءت لتعزّز فكرة التمايز بين السلالات البشرية من ناحية التركيب الجسمي، والتفاوت فيما بينها بمدى التأثّر بمظاهر المدنية، وفي تمثّلها لمقّومات الحضارة. وعلى هذا الأساس، يذهب هيردر إلى أنّ ثّمة سلالات بشرية خلقت للرقي، وسلالات أخرى قضي عليها بالتأخّر والانحطاط .[34]

لكن هذا الاتجاه العنصري في الدراسات الأنثربولوجية، واجه انتقادات كبيرة في بداية القرن

---

[33] Darnell, Regna and editor, opcit, p 87

[34] 375 . احمد الخشاب ، دراسات انثروبولوجية ، دار المعارف ، مصر ، 1970، ص 375

العشرين ، حيث برزت فكرة أنّه لا يجوز أن تتّخذ اللغة كأساس أو دليل على الانتماء إلى أصل سلالي واحد، وأنّ العلاقة بين الجنس البشري واللغة، لا يجوز أن تكون أساساً لتقسيم الشعوب الإنسانية إلى سلالات متمايزة. وقد نقض ذلك ودحضه، فيما بعد، الفكر الأنثروبولوجي القائم على المشاهدة الواقعية، والدراسة الميدانية المقارنة لمجتمعات الشعوب الأخرى .

وهنا يمكن القول : إنّ الأنثروبولوجيا المتحرّرةالتي ظهرت اتّجاهاتها وقضاياها الانسانية، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، تجد – ولا شكّ - في الكتابات الفرنسية في عصر التنوير، جذوراً أو أصولاً نظرية لمنطلقاتها الفكرية .[35]

وتأسيساً على ما تقدّم، يمكن القول : إنّ الفكر الأنثروبولوجي الذي ساد أوروبا في عصر التنوير، وتجلّى في كتابات العديد من الفلاسفة والباحثين والمؤرّخين، شكّل الملامح النظرية الأولى لعلم الأنثروبولوجيا، الذي بدأ يستقل بذاته مع بدايات القرن العشرين، ويتبلور بمنطلقاته وأهدافه في النصف الثاني من القرن ذاته.

[35] حسين، فهيم، مرجع سابق، ص 101

III. الاتجاهات و النظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا

أولا - أهمية نظريات علم الأنثروبولوجيا

تسعى النظريات في أي مجال علمي إلى إثبات أو نفي طبيعة أمور تحدث في العالم وما يجعلها نظرية أنه يمكن اختبارها وتعديلها أو نفيها، وفي نظريات علم الأنثروبولوجيا تتم دراسة تاريخ الحضارة البشرية وتفاعل الجنس البشري مع الطبيعة ومع أنفسهم ومقارنتها مع تاريخ الأجيال السابقة، وتتبع أهمية ذلك من خلال منح العلماء فهمًا أعمق للبشرية وكيف أصبحت على ما هي عليه ووضع فرضيات لما قد تُصبح عليه في المستقبل والمشاكل أو العقبات المُفترضة، والأنثروبولوجيا بالعموم هو علم يرتكز على طرح تساؤلات عدة في أساسه ويفتح إمكانيات لا حصر لها لوضع النظريات والتطورات التي يمكن تأكيدها أو نفيها.[36]

ثانيا - التقاليد النظرية لعلم الانثروبولوجيا

منذ أن استقرت الأنثروبولوجيا و أصبحت علما قائما بذاته برزت العديد من الاتجاهات لدى الأنثروبولوجيون في مختلف الموضوعات الأنثروبولوجية ، و لقد كانت نظرية التطور في مجال البيولوجيا و التي أسس دعائمها " تشارلز داروين" ملهما حقيقيا للأنثروبولوجيين الأوائل الذين تناولوا الثقافة و المجتمع بنظرة تطورية ، لكن أسس التفسير تعددت باتساع الدراسات في الحقل الأنثروبولوجي و بروز اتجاهات و نظريات اجتماعية لها القدرة على التحليل و التفسير ، و يمكن تقسيم اهم اتجاهات و نظريات دراسة الأنثروبولوجيا الى ما يلي :

1. الاتجاهات الأولى في دراسة الانثروبولوجيا

1. النظرية الاجتماعية أو الاتجاه التطوري

حاول الأنثربولوجيون الأوائل و مفكري هذا الاتجاه فهم كيفية نشأة و تطور المجتمعات و ثقافتها فحسب التطوريين يمثل تاريخ الإنسانية و تاريخ الثقافة بما يضم من عادات و تقاليد و تنظيمات .... خطا متصاعدا كما أن البشرية تمر بمراحل خلال تطورها التاريخي فتتدرج من

[36] **Whatis the importance of theories in anthropology**", www.quora.com, Retrieved 6-1-2020. Edited

الأشكال البسيطة إلى الأشكال المعقدة إلى الأكثر تعقيدا ، و هذه السيرورة ملازمة لكل المجتمعات و الثقافات نتيجة الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.

يرى لويس مورغان(1818-1881) [37] أن المجتمعات تمر بمراحل تطورية حيث كل مرحلة تشكل نمطا معينا طبقا لمراحل التطور التي تتمظهر في طبيعة العلاقات الاجتماعية و طبيعة النظم التي تميزها ، فكل المجتمعات عنده تخضع في تطورها لقانون واحد طالما أن تاريخ الجنس البشري و أصل الإنسانية واحد ، و عليه يصل مورغان إلى أن البشرية تطورت عبر ثلاث مراحل أساسية :

أ) مرحلة التوحش (الهمجية) : و يقسمها إلى ثلاثة مراحل هي مرحلة التوحش الدنيا و مرحلة التوحش الوسطى و مرحلة التوحش العليا و يوضح مورغان أن هناك ارتقاء ثقافي خلال الانتقال عبر كل مرحلة في تقنيات العيش و النظم الاجتماعية .

ب) مرحلة البربرية و تنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل دنيا و وسطى و عليا .

ج) مرحلة المدنية (الحضارة) و هي التي تتميز باختراع الكتابة و الحروف الهجائية و هي مازالت ممتدة إلى اليوم .

كما يعد إدوارد تايلور (1832-1917) واحدا من رواد هذا الاتجاه حيث اعتبر أن الثقافة عنصر مساعد لفهم التاريخ الإنساني طالما أنها ظاهرة تاريخية تميز الإنسان دون غيره و يكتسبها بالتعلم من المحيط الذي يعيش فيه ، و بهذا المعنى تكون الثقافة هي حصيلة ما يكتسبه الفرد في المجتمع ، و من هذا المنطلق يرى تايلور أن " دراسة الثقافة هو دراسة تاريخ تطور الفرد في المجتمع باعتبارها العملية التاريخية العقلية لتطور عادات الإنسان و تقاليده من حالتها غير المعقدة إلى حالتها المعقدة فالأكثر تعقيدا " ، كما يعتقد تايلور بتطور فكر الإنسان في مجال الاعتقاد ، ففي البدء بدأ الإنسان بمحاولة التفكير في القرين الملازم لجسم

[37] لويس هنريLewis H. Morga :هو عالم أنثروبولوجياأمريكي ومنظر اجتماعي رائد، عمل محامياً في مجال السكك الحديدية. يشتهر بعمله على القرابة والبنية الاجتماعية، ونظرياته عن التطور الاجتماعي، وإثنوغرافيا شعب الإيراكوي .مهتمًا بما يربط المجتمعات ببعضها البعض، اقترح المفهوم القائل بأن أول مؤسسة بشرية محلية هي العشيرة الأمومية، وليس العشيرة الأبوية .ولد في نيويورك، وكان عضوًا في الأكاديمية الوطنية للعلوم، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والجمعية الأميركية لتقدم العلوم، توفي في روتشستر بولاية نيويورك، عن عمر يناهز 63 عاماً.

الإنسان و هو الروح ثم تدرج إلى وجود أرواح تسكن الطبيعة مثل الروح التي تسكن جسد الإنسان ، فقام بتأليه هذه الأرواح لكنه اهتدى أخيرا إلى فكرة الإله الواحد كمرحلة أخيرة تعبر عن منتهى تفكير الإنسان و يبدو أن مراحل التطور لم تكن حتمية ملزمة بالنسبة لتايلور كما كان الحال عند لويس مورغان في عده لمراحل التطور البشري ، و رغم تصنيف تايلور ضمن الاتجاه التطوري إلا أن آراءه لم تخل من القول بانتشار الثقافة فهي حسبه" مثل النباتات تتصف بالانتشار أكثر من كونها تتطور ، فالناس أخذوا من جيرانهم أكثر مما اخترعوا و اكتشفوا بأنفسهم " .

كما كانت إسهامات جيمس فرايزر (1854-1941) في مجال التطور بتطرقه إلى تطور المجتمعات من خلال ثلاث محطات هي : السحر و الدين و العلم ....إلخ.

ثالثا -الاتّجاهات المعاصرة في دراسة الأنثروبولوجيا

لاقت النظرية التطّورية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، انتقادات واسعة باعتبارها استندت إلى الحدس والتخمين، وتعميم الأحكام المطلقة على الثقافات الإنسانية، من دون أن تثبت صحّة ذلك بالبراهين أو القرائن العملية الواقعية.

ولذلك، بدأت تضمحلّ تدريجياً مع بداية القرن العشرين، لتحلّ محلّها أفكار نظرية جديدة لدراسة الثقافات الإنسانية، من حيث نشوؤها ومكّوناتها وتطّورها. فكان أن ظهرت خلال الربع الثاني من القرن العشرين ثلاث اتجاهات رئيسّية متفاعلة فيما بينها– الاتجاه التاريخي التجزيئي والاتجاه التاريخي النفسي و الاتجاه البنائي الوظيفي- ، ركّزت في دراستها على تناول العلوم الاجتماعية، بأسسها و منطلقاتها وأهدافها. وهذا ما أسهم بفاعلية في إرساء دعائم **علم الأنثروبولوجيا المعاصر**.

1.الاتّجاه التاريخي

يقسم إلى قسمين: **الاتجاه التاريخي التجزيئي،والاتّجاه التاريخي النفسي** . وسنقّدم فيما يلي عرضاً موجزا لكلّ منهما.

أ) الاتّجاه التاريخي التجزيئي

أصبح **الفكر التطوّري** للحضارات الإنسانية سائداً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث بدأت تتبلور الدراسات الأنثروبولوجية وظهر إلى جانبه أيضاً **الاتّجاه الانتشاري** الذي يعتمد على أنّ نشأة الحضارة الإنسانية كلّها ترجع إلى مصدر (مجتمع) واحد، ومنه انتشرت إلى أماكن أخرى في العالم.

ويقوم الاتجاه هنا على مبدأ هام، وهو أنّ النظم الاجتماعية كثيرا ما تستعار أو تنقل من مكان إلى مكان آخر. وبناء على ذلك، فإنّ تشابه النظم الاجتماعية والعادات، في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة، لا ينشأ على نحو تلقائي، وإنما ناتج عن التشابه في الإمكانات الاجتماعية والطبيعيّة والإنسانية. [38]

وعلى الرغم من ذلك، استمرّ اهتمام الباحثين باستخدام المنهج التاريخي في تفسير ظاهرة التباين بين الحضارات في المجتمعات الإنسانية. واعتمد هذا الاتّجاه على مبدأين اثنين.

أولهما: أنّ الاتّصال بين الشعوب المختلفة، كان بفعل الاحتكاك الثقافي الحضاري، المباشر وغير المباشر.

وثانيهما: عملية انتشار بعض المكّونات (الخصائص) الحضارية أو كلّها، من مصادرها الأصلية إلى المجتمعات الأخرى، سواء بالرحلات التجارية أو بالكشوف أو بالحروب والاستعمار. وهذان المبدآن متكاملان في دراسة الظواهر الثقافية، ويمكن من خلالهما تفسير التباين الحضاري بين الشعوب.

وانطلاقاً من هذا الاتّجاه، ظهرت في أوروبا نظريتان مختلفتان حول التفسير الانتشاري لعناصر الثقافة.

النظرية الأولى: هي **النظرية الانتشارية** سادت هذه النظرية في إنجلترا، وأرجعت نشأة الحضارة الإنسانية كلّها إلى مصدر واحد، ومنه انتشرت إلى المجتمعات الإنسانية الأخرى.

وكان من روّاد هذه النظرية، عالم التشريح **(إليوت سميث)** وتلميذه **(وليم بيري)** اللذان رأيا أنّ الحضارة الإنسانية، نشأت و ازدهرت على ضفاف النيل في مصر القديمة، منذ حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد. وعندما توافرت الظروف المناسبة للتواصل بين الجماعات البشرية، بدأت بعض مظاهر تلك الحضارة المصرية القديمة تنتقل إلى أرجاء متعدّدة من العالم، حيث

---

[38] سامية، جابر. علم الإنسان – مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية، بيروت . 1991 . ص85

عجزت شعوبها عن التقدّم الثقافي والابتكار الحضاري، فراحت تعوّض عن ذلك العجز بالاستيراد والتقليد[39].

النظرية الثانية: هي **النظرية الانتشارية** التي تعتمد الأصل الثقافي الحضاري، المتعدّد المراكز. وكان من دعاة هذه النظرية، فريق من العلماء الألمان والنمساويين، وفي طليعتهم فريتزووليم شميدت وافترضوا وجود مراكز حضارية أساسية وعديدة، في أماكن متفرقة في العالم. ونشأ من التقاء هذه الحضارات بعضها مع بعض، دوائر ثقافية تفاعلت ببعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة.

ونتج عن هذا **الاتّجاه الانتشاري** بوجه عام، أن بدأ الأنثروبولوجيون ينظرون إلى أنّ للثقافات الإنسانية كيانات مستقلّة من حيث المنشأ والتطّور والملامح الرئيسة التي تميّز بعضها من بعض. وهذا ما عزّز فكرة تعدّد الثقافات وتنّوعها، وطرح مفهوم النسبية الثقافية التي أصبحت من أهّم المفهومات الأساسّية في الفكر الأنثروبولوجي وتطّوره، كعلم خاص من العلوم الإنسانية له منطلقاته وأهدافه، توجب دراسته من خلالها.

ب - الاتّجاه التاريخي النفسي

ترى (**روثبيند كيت**) ورفاقها أنّ دراسة التاريخ، بوقائعه وأحداثه، لا تكفي لتفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية، وذلك لأن الظاهرة الثقافية بحدّ ذاتها **مسألة معقّدة ومتشابكة** العناصر. فهي تجمع بين التجربة الواقعية المكتسبة والتجربة السيكولوجية (النفسية)، وأنّ أية سمة من **السمات الثقافية**، تضّم مزيجاً من **النشاط الثقافي والنفسي** بالنسبة لبيئة معّينة.

يتبّين من حقيقة **الثقافة السيكولوجية**، أن الثقافة لا تستطيع أن تفعل شيئاً ،لأّنها ليست سوى مجموع سلوكيات الأشخاص الذين يؤلّفون مجتمعاً خاصاً (في وقت معين ومكان محدّد) وأنماط عادات التفكير عند هؤلاء الأشخاص. ولكّن، على الرغم من أنّ هؤلاء الأشخاص يلتزمون – عن طريق التعلّم والاعتياد- بأنماط الجماعة التي ولدوا و نشئوا فيها ، فإّنهم

[39] محمد، رياض. **الإنسان -دراسة في النوع والحضارة**، دار النهضة العربية، بيروت. 1974 . ص 127

يختلفون في ردود أفعالهم تجاه المواقف الحياتية التي يتعرّضون لها كما أنّهم يختلفون أيضاً في مدى رغبة كلّ منهم في التغيير، إذ إنّ الثقافات جميعها عرضة للتغيير.

2.الاتّجاه البنائي الوظيفي

رافق نشوء هذا الاتّجاه ظهور اتّجاه الانتشار الثقافي، كردّ فعل عنيف على النظرية التطّورية. وقد تميّز **الاتّجاه البنائي**، بأنّه ليس تطّورياً وليس تاريخياً، حيث ركّز على دراسة الثقافات الإنسانية كلّ على حدة، في واقعها الحالي المكاني و الزماني. وهذا ما جعله يختلف عن الدراسات التاريخيّة، لأنّه اعتمد العلم في دراسة الثقافات الإنسانية كظاهرة، يجب البحث في عناصرها والكشف عن العلاقات القائمة فيما بينها، ومن ثّم العلاقات القائمة فيما بينها وبين الظواهر الأخرى.

يعود الفضل في تبلور **الاتّجاه البنائي الوظيفي** في الدراسات الأنثروبولوجية، إلى أفكار العالمين البريطانيين، **(برونسلو مالينوفسكي)** و (**راد كليف براون**)،. ويدينان باتّجاهاتهما النظرية، إلى أفكار عالم الاجتماع (**إميل دوركهايم**) الذي ركّز اهتمامه على الطريقة التي تعمل بها المجتمعات الإنسانية ووظائف نظمها الاجتماعية، وليس على تاريخ تطّور هذه المجتمعات والسمات العامة لثقافاتها.

اعتمد (**براون**) في دراسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيرًا اجتماعياً، بنائياً ووظيفياً، على فكرة الوظيفية التي نادى بها **(دوركهايم)** والتي تقوم على دراسة المجتمعات الإنسانية، من خلال المطابقة (المماثلة) بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية، كما هو الحال في المشابهة بين البناء الجسمي المتكامل عند الإنسان، والبناء الاجتماعي المتكامل في المجتمعات الإنسانية. ويوضح **(براون**) طبيعة هذا (البناء الاجتماعي) بأّنه يندرج تحت هذا المفهوم، العلاقات الاجتماعية كلّها، والتي تقوم بين شخص وآخر. كما يدخل في ذلك التمايز القائم بين الأفراد والطبقات، بحسب أدوارهم الاجتماعية، والعلاقات التي تنظّم هذه الأدوار. وكما يستمّر تجدّد بناء الكائن العضوي طوال حياته، فكذلك تتجدّد الحياة الاجتماعية مع استمرارية البناء الاجتماعي في علاقاته وتماسكه.

واستناداً إلى ذلك، يصبح الاعتراف بـ**التنوّع الثقافي** بين المجتمعات – مهما كان شكله- إحدى الخطوات الهامة في تطوّر علم الأنثروبولوجيا، انطلاقاً من النقاط التالية:

- إنّ الثقافة تعبير عن سلوك شعب ما، وعن قواعد هذا الشعب.
- إنّ مجموع التنّوعات في العقيدة والسلوك الفرديين لدى أفراد جماعة معّينة وفي زمن معّين، يحدّد ثقافة تلك الجماعة. وهذا صحيح بالنسبة للثقافات الفرعية في الوحدات الصغيرة، داخل الكلّ الاجتماعي.
- ليست العقيدة والسلوك في أي مجتمع، أبداً نتاج الصدفة، بل يتحوّلان وفق قواعد راسخة.
- يجب استنباط هذه القواعد بواسطة الاستقراء من التوافق الملاحظ في العقائد وأنماط السلوك لدى جماعة ما وهي تشمل نماذج ثقافة تلك الجماعة.
- كلّما صغر حجم الجماعة، كانت نماذج عقائدها و سلوكياتها، أكثر تجانساً فيما إذا تساوت الأمور الأخرى.
- قد يظهر لدى الفئات الاختصاصية، تنّوع في حقل اختصاصها أكثر اتّساعاً ممّا يظهر لدى الفئات الأخرى، المساوية لها في الحجم، بين الجماعة الكلّية.[40] و إزاء هذه الأمور مجتمعة، لا بدّ من الاعتراف بأهمّية مسألة **التجانس الثقافي والتنافر الثقافي**، في دراسات النظريات الأثنولوجية.

[40]ميلفيل. ج،هرسكوفيتز. **أسس الأنثروبولوجياالثقافية**،ترجمة : رباحالنفاخ،وزارة الثقافة،دمشق . 1974ص - ص 263-264.

IV. مفهوم الثقافة و طبيعتها و علاقتها بالفرد و المجتمع

أولا - مفهوم الثقافة

1. تعريف الثقافة لغة

تحمل كلمة الثَّقافة عددًا من المعاني لغةً، فيُقال ثقف الشَّيء إذا حذقه ومنه يُقال هذا رجلٌ **ثقف**أو امرأةٌ **ثقفة** وتأتي الثَّقافة بمعنى **الذَّكاء والفطنة**، ومن المعاني التي تحملها هي **الضَّبط والسُّرعة في التَّعلم** فيُقال عن الرجل ثقف إذا كان قائمًا بعلمه وضابطًا له، ومن معاني كلمة الثَّقافة لغةً الظَّفر بالشَّيء والغلبة عليه، ومن هنا قال القرطبي في تفسير ثقف في الآية القرآنية الآتية:**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**،[41] أي هي **أسر العدو والغلبة عليه**، ومن المعاني التي يدلُّ عليها مصطلح الثَّقافة أيضًا **تقويم الشَّيء والعمل على تهذيبه**.[42]

2. تعريف الثقافة اصطلاحا

تعدّ الثقافة مفهومًا مركزيًا في الأنثروبولوجيا، يشمل نطاق الظواهر التي تنتقل من خلال التعلم الاجتماعي في المجتمعات البشرية.

بعض جوانب السلوك الإنساني، والممارسات الاجتماعية مثل الثقافة،والأشكال التعبيرية مثل الفن، الموسيقى، الرقص، الطقوس، والتقنيات مثل استخدام الأدوات، الطبخ، المأوى، والملابس هي بمثابة **كليات ثقافية**، توجد في جميع المجتمعات البشرية.

ذهب **إدوارد تايلور** إلى أنَّ الثَّقافة هي **مجموعة العادات والتَّقاليد** التي يكتسبها الإنسان ضمن مجتمعٍ يعيش فيه، وأضاف بأنَّها عبارة عن **مجموعة من القوانين التي تحكم الفرد** بالإضافة إلى **الفنون والأخلاق السَّائدة** في هذا المجتمع.[43]

---

[41]سورة الأنفال، آية:57

[42]نادية شريف العمري، **أضواء على الثقافة الإسلامية**، ص ص : 13-14

[43]مجموعة من الكتاب (1978)، **نظرية الثقافة** (الطبعة 223)، الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ص9.

الثقافة سلوك اجتماعي ومعيار موجود في المجتمعات البشرية و هو يدل على **العادات والتَّقاليد الموروثة لأمَّة ما وانتقالها من جيلٍ لآخر**، وقد يكون للتَّوجه الدِّيني الأثر الكبير في تشكيل الثَّقافة[44]، وقيل هي طريق الإنسان للوصول إلى الرُّقي والكمال نوعًا ما.[45]

ثانيا - أنواع الثقافة

لأنواع الثقافة عدة تقسيمات منها :

التقسيم الأول من حيث المادية و اللامادية

1) الثقافة المادية:مفهوم الثقافة المادية يغطي التعبيرات المادية للثقافة، مثل التكنولوجيا، والهندسة المعمارية والفن.
2) غير المادية : تشمل الجوانب غير المادية للثقافة على مبادئ التنظيم الاجتماعي (ممارسات منظمة سياسية واجتماعية و اقتصادية) ، الأساطير، الفلسفة، الأدب (على حد سواء المكتوب والشفوي) ، العلم.

التقسيم الثاني حسب التمييز الطبقي

1) الثقافة الرفيعة للنخبة الاجتماعية
2) الثقافة المتدنية أو الثقافة الشعبية أو الثقافة الفلكلورية للطبقات الدنيا

كما يوجد عدة أنواع من الثقافة منها الثقافة العامة و الثقافة الفرعية الثقافة التنظيمية و الثقافة السياسية و الثقافة الوطنية و الثقافة الشعبية لكن النوع الجديد من الثقافة و الذي لا يعترف بالتنوع الثقافي للمجتمعات و يحاول القضاء عليه و نشر ثقافة واحدة هو الثقافة الجماهيرية .

---

[44] الثَّقافة الإسلاميَّة هي ملامح الأمَّة الإسلاميَّة وهي الممثلة لوجود الأمَّة الإسلاميَّة بين الأمم الأخرى، وبما أنَّ الثَّقافة هي ملخصٌ لأسلوب وسير الحياة بين أفراد المجتمع، فإنَّ ما يحكم هذا الأسلوب في الثَّقافة الإسلاميَّة هو الإسلام، والثَّقافة الإسلاميَّة مستقاة من مصادر التَّشريع وهي القرآن الكريم والسُّنة النَّبويَّة الشَّريفة المتمثِّلة بالنَّبي محمد عليه الصَّلاة والسَّلام.

[45] مجموعة من المؤلفين، **مجلة جامعة أم القرى**، ص:236.

الثقافة الجماهيرية بالإنجليزيةMass-Culture هي مجمل التأثير والتوجيه الفكري والإعلامي الذي تمارسه وسائل الإعلام التقليدية و الحديثة من صحافة وتلفزيون وإذاعة وسينما و انترنت و شبكات اجتماعية على الرأي العام. حيث تسعى جميع وسائل الإعلام التابعة للدول الرأسمالية تعميمها في مختلف المجتمعات البشرية من خلال نشر الثقافة الاستهلاكية عبر الرسائل الاشهارية والإعلامية ونعني بالثقافة الاستهلاكية الجوانب الثقافية المصاحبة للعملية الاستهلاكية أي مجموع المعاني و الصور المصاحبة للعملية الاستهلاكية و التي تضفي لهذه العملية معناها و تحقق دلالتها في الحياة اليومية .[46]

ثالثا - طبيعة الثقافة

تشتمل طبيعة الثقافة على العناصر التالية : السمة الثقافية ، النمط الثقافي ، (النمط الثقافي القومي ، النمط الثقافي العام)

1.السمة الثقافية : وهى أبسط عناصر الثقافة ، وهناك سمات مادية وأخرى غير مادية كالمسمار والانحناء لسيدة ، والحد الفاصل بين السمة المادية وغير المادية وهمي ، فهما يتحدان ليكوناً كلاً معقداً فمعظم السمات المادية تتصل بها عادات أو وسائل أو سلوك

2.النمط الثقافي : تتصل السمات بعضها مع بعض وتتصل عادة حول ميول رئيسة تصبح نقطاً محورية للنشاط وهذا الميل أو الاهتمام المحوري هو القوة الدافعة التي تثير نشاط الإنسان ويطلق على هذه المجموعة من السمات المتصلة التي تعمل بطريقة وظيفية اسم النمط الثقافي ويمكن أن يعرف النمط الثقافي بأنه عدد من السمات الثقافية التي جمعت حول مصدر من مصادر الاهتمام الرئيسة.

ويتضمن النمط الثقافي انتظاماً في السلوك لا يمكن أن يحدث إذا كان شخص يعمل بطريقة عشوائية وبِأسلوب فردي.

---

[46]جادلت بعض مدارس الفلسفة، مثل الماركسية والنظرية النقدية، الثقافة الجماهيرية و التي اعتبرتها أنها أداة سياسيّة للنخب للتلاعب في الطبقات الدنيا وخلق وعي زائف، وهذه الدراسات شائعة في مجال الدراسات الثقافية.

ولكل ثقافة مجموعة من الأنماط التي تفرضها على الفرد والجماعة وبذلك تتأكد في حدود معقولية من أن هناك حداً لوحدة السلوك.

والأنماط الثقافية أمور غير محسوسة تقوم فقط في عقول الأفراد الذين يكونون جماعة ما ولا يمكن رؤية هذه الأنماط إلا إذا اتخذت لها شكلاً في سلوك الأفراد ، حيثما يعملون في نشاط منتظم تحت تأثير مؤثر عام وتختلف الأنماط الثقافية بعضها عن البعض الأخر في درجة الاقتباس وفى الوسط الاجتماعي الذي يحدث ذلك الاقتباس.

أ. *النمط الثقافي القومي* : وهو النمط الثقافي الذي يتكون من كل الأنماط الفردية من أمة ما وتختلف الثقافات بسبب وجود الاختلاف في الأنماط المكونة لها وبسبب اختلاف العلاقات بين هذه الأنماط.

وهناك وحدة تماسك بين الأنماط الفردية المكونة للنمط القومي ويضمن الاستمرار التاريخي لنمط معين درجة معينة من الوحدة.

ب. *النمط الثقافي العام* : يشمل عناصر موجودة في كل الأنماط الثقافية العامة وهو شاهد على الوحدة الأساسية للإنسان وحدة مشكلات الحياة الأساسية التي تواجهه ، بصرف النظر عن العصر والبيئة التي يعيش فيها .[47]

رابعا - علاقة الفرد بالثقافة (أثر الثقافة على الفرد و المجتمع)

يستحيل الفصل بين الثقافة و الفرد و المجتمع فلولا الفرد و المجتمع لما وجدت الثقافة فلا و جود لثقافة بدون مجتمعات تتبناها و لا وجود لمجتمع لولا ثقافة تنظمه و مثال على ذلك أهمية اللغة كمكون ثقافي في حياة و تطور المجتمعات و الأفراد ، و فيما يلي أهم تأثيرات الثقافة على المجتمع و الفرد

1. تساهم الثقافة في **بناء الإنسان و المجتمع** و تطوره خصوصا الثقافة ذات **الطابع الحضاري و الإنساني** و التي تعزز الشعور بالفردية و الحرية و الديموقراطية .
2. الثقافة تساعد الفرد على **مواجهة مشاكل و صعوبات الحياة** و تحدياتها المختلفة .
3. صقل شخصية الفرد و **تنمية قدراته العقلية و الفكرية**.

---

[47] عادل عامر ، **طبيعة الثقافة** ، جريدة أبو الهول ، https://www.abou-alhool.com/ ، عدد : 02-2021 ، تاريخ الولوج ، 18 نوفمبر 2021 ، على الساعة 11:33 صباحا .

4. الحفاظ على **وحدة المجتمع و تماسكه** .
5. حصانة المجتمعات و الأفراد من التغريب و الغزو الثقافي الذي تمارسه مختلف وسائل الإعلام الغربية الحديثة منها و القديمة أو ما يعرف ب**العولمة** .

V. اثنوغرافيا الاتصال

أولا - مفهوم الاثنوغرافيا

تتأسس الأنثروبولوجيا (Anthropologie) والإثنولوجيا (Ethnologie) على البحث الإثنوغرافي (Ethnographique) التوثيقي والمخبري بشكل خاص، على أساس أن هذا البحث العلمي هو دراسة حقلية (fieldwork) عملية تطبيقية بامتياز، تمد الإثنولوجي (Ethnologue) بمادة إثنوغرافية دسمة وعميقة وجادة لبناء نظرياته العلمية، وطرح فروضه وإشكالاته المختلفة والمتنوعة في دراسة الشعوب القديمة من جهة، أو البحث في العادات والأعراف الغريبة لجماعة معينة ومحددة، في زمان ومكان معينين. ومن ثم، فليس من الصائب، في المجال العلمي، القبول بالأبحاث النظرية المكتبية الإنشائية والذاتية المرتبطة بنقل المرويات المأثورة عن الرحالة، والمبشرين، والإداريين، والجغرافيين، والعسكريين والمستشرقين، والإخباريين، دون النزول إلى الميدان ألمخبري الواقعي، أو الاحتكاك بالحقل التجريبي لمعاينة الظواهر الإثنولوجية ومراقبتها وتسجيلها وتدوينها وتوصيفها. ومن ثم، يصعب الحديث عن الإثنولوجيا[48]والأنتروبولوجيا بشكل علمي دقيق ومركز، دون استحضار الإثنوغرافيا باعتبارها علما تخصصيا يستند إلى الأبحاث المونوغرافية[49] الوصفية، والحفرية والاستكشافية، والتنقيبية، والاستقصائية، والتجميعية ...

1. تعريف الإثنوغرافيا

الإثنوغرافيا (L'ethnographie) هي دراسة وصفية لأنشطة جماعة إنسانية معينة، سواء أكانت جماعة بدائية تقليدية أم جماعة معاصرة ومتمدنة ، بالتركيز على بنيات القرابة، و

[48] الاثنولوجيا Ethnology :فرع من فروع الانثروبولوجيا، بصفة عامة، تعرف بأنها علم دراسة الإنسان ككائن ثقافي و بأنها الدراسة المقارنة للثقافة. عرفها هوبلHoebelبأنها: فرع من الانثروبولوجيا يتخصص بتحليل المادة الثقافية و تفسيرها بطريقة منهجية تشبه في سماتها العامة الانثروبولوجيا الثقافية الامريكية. تهتم الانثروبولوجيا بدراسة الأجناس البشرية الموجودة في الوقت الحالي أو التى اختفت خلال الآونة القصيرة، مع الدراسة التحليلية المقارنة للشعوب البدائية. وتهتم الاثنولوجيا أيضا بدراسة الظواهر الاجتماعية في المجتمعات البدائية و تنتهج منهج تاريخي لكي تكتشف نشأة الظاهرة و تتبع مراحله

[49] تعرف المونوغرافيا بأنها وثيقة تهدف إلى تحديد وتشخيص الحالة الراهنة للجماعة ؛ وتشمل جمع المعطيات الكمية والكيفية الصحيحة والمرتبطة بالإدارة ومكوناتها وبمختلف مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية للجماعة والمتضمنة لخصوصيات الأنشطة وحاجيات ومصالح الرجال والنساء والشبان والشيوخ وغيرهم .

التقنيات المادية، و المعتقدات الدينية، والتنظيم المجتمعي، واستعمال آلات العمل، والاستثمار في الأرض...

وتعد أيضا منهجية استكشافية تطبيقية في البحث العلمي في مجالي الاثنولوجياوالأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية[50]. وتوظف كذلك في علم الاجتماع[51] كما عند مدرسة شيكاغو[52].

ومن هنا، فالإثنوغرافيا هي دراسة ميدانية وتحليلية للعادات والقيم والتقاليد والأعرافلجماعات سكانية محددة. وقد ارتبطت هذه المنهجية، قديما، بدراسة الشعوب البدائية. ومن هنا، فالإثنوغرافيا- حسب حسين فهيم- " هي الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد،والعادات والقيم، والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة، أو مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة."[53]

إذاً، تهتم الإثنوغرافيا، أو علم الأجناس البشرية، بدراسة الشعوب البدائية باعتبارها تمثل الطفولة الأولى للمجتمع الحديث المعقد؛ فنظرا لضيق حجم هذه الشعوب من الناحية الكمية والعددية، ونظرا لبعدها عن المؤثرات الخارجية، والبطء الذي يتجلى في تطورها، تقدم للباحثين صورة عن تحكم الضمير الجمعي، وسيطرته المطلقة على ضمائر الأفراد؛حيث نجد شخصية الفرد تذوب في شخصية الجماعة.ولاشك أن المقارنة بينها وبين الشعوب المتحضرة تقدم لعالم الاجتماع مجالا خصبا لمعرفة العوامل التي يخضع لها نشوء الظواهر الاجتماعية وتكونها.

إذاً، فالإثنوغرافيا هي وصف الشعوب القديمة والحديثة والمعاصرة، سواء أكانت بدائية متخلفة أم متحضرة متمدنة. وهي أيضا الجانب الوصفي التطبيقي من علم الإثنولوجيا التي تتخذ بعدا نظريا. ويتخذ هذا الجانب، في كثير من الأحيان، طابعا دراسيا مونوغرافيا يعنى بدراسة جماعة مجتمعية معينة، أو مؤسسة تضم جماعات عدة (تقنيات، وزواج، وعبادة دينية...).

---

[50]Jean Copans, L'enquête ethnologique de terrain, Paris, Nathan, 1998

[51]Coulon A. L'école de Chicago. Paris : PUF, 1992

[52] Louis M. Smith., « Ethnography », Encyclopedia of EducationalResearch, 5th edition, New York, Macmillan, 1982.

[53] حسين فهيم: قصة الأنتروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، العدد98، فبراير1986م، ص:14

وتعد الإثنوغرافيا، حسب كلود لفي ستروس(Claude -Levi Strauss)، المرحلة الأولى من عمل الإثنولوجي، والتي تتمثل في جمع البيانات والمعطيات والمعلومات حول الظاهرة الإثنولوجية. ويعني هذا " القيام عادة بتحقيق ميداني قوامه المعاينة المباشرة،الأمر الذي يطلق عليه الأنجلو - سكسونيون اسم (فيلد وورك/fieldwork)."[54]

أما الأنثروبولوجي الإنجليزي رادكليف براون، فيعرف الإثنوغرافيا بأنها بمثابة معاينة الظواهر الثقافية ووصفها، خاصة عند الشعوب المتخلفة."[55]

وعليه، فالإثنوغرافيا هي وصف الظواهر الإثنولوجية، من عادات، وأعراف، وتقاليد، ومراسيم، وطقوس، ومعتقدات ....، وإخضاعها للمعاينة، والتدوين، والحفر الحقلي الميداني، والتحليل، والتفسير.

ركز مدخل بوس على استخدام الوثائق والمخبرين، بينما صرح مالينوفسكي بأنه ينبغي على الباحث **الانخراط في العمل لفترات طويلة في مجال البحث**، ويقوم **بالملاحظة التشاركية من خلال معايشته للراوي وتجربته لأسلوب حياته. إنه يعطي وجهة نظر السكان الأصليين، وذلك هو أصل العمل الميداني ومناهجه.**

2. أهداف الإثنوغرافيا

تتمثل أهداف الإثنوغرافيا في ربط ما هو نظري بما هو تطبيقي أي ربط النظريات الإثنولوجية بالتطبيقات العملية التي تقوم بها الإثنوغرافيا. ومن هنا، تهدف الأبحاث الإثنوغرافية إلى جمع المعلومات والبيانات والمعطيات حول مجموعة من الظواهر الإثنولوجية المختلفة لدى جماعة محددة. ثم، السعي الجاد إلى توصيفها في ضوء المناهج العلمية الكمية أو الكيفية المتاحة، وبعد ذلك، كتابة التقرير العلمي حول مختلف المراحل والعمليات التي أنجزها الإثنوغرافي في حقله الميداني.

---

[54]جاك لومبار: **مدخل إلى الإثنولوجيا**، ترجمة: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي
[55]جاك لومبار: **مدخل إلى الإثنولوجيا**، م س ذ ،ص:12

ومن هنا، فلإثنوغرافيا مجموعة من الأهداف والغايات التي يمكن حصرها فيما يلي:

- ربط التصورات والفروض الإثنولوجية النظرية بماهو عملي وتطبيقي وتجريبي واقعي، وفق رؤية علمية نزيهة ومحايدة وموضوعية؛
- النزول إلى الحقل الميداني لملاحظة الظواهر الاثنولوجية ومعاينتها وفق مقاربة علمية موضوعية دقيقة ومركزة؛
- جمع المعطيات والبيانات والمعلومات حول الظاهرة الإثنولوجية المدروسة؛
- تدوين المعلومات وتسجيلها بشكل علمي دقيق؛
- تنظيم تلك البيانات والمعلومات بشكل منهجي مركز ؛
- توصيف البيانات والمعطيات المرتبطة بجماعة بشرية معينة في زمن ومكان محددين؛
- تحليل المعلومات الحقلية وتفسيرها .؛
- المقارنة بين المجتمعات الإثنولوجية وفق بناها، ووظائفها، وتطورها؛
- رصد طبيعة الجماعة والمجتمع وفق رؤية عملية حقلية تطبيقية وميدانية؛
- تطوير الدراسات الأنثروبولوجية والإثنولوجية نظريا، و تطبيقا، و وظيفيا.

3. أنواع الاثنوغرافيا

هناك أنواع مختلفة من الإثنوغرافيا: الإثنوغرافيا الطائفية، وتاريخ الحياة، والإثنوغرافيا النسوية.. إلخ. إلا أن هناك نوعان شائعان في الإثنوغرافيا، الإثنوغرافيا الواقعية والإثنوغرافيا النقدية.

يستخدم الأنثروبولوجيون الثقافيون الإثنوغرافيا الواقعية بوصفها مدخلًا تقليديًا، وضع ملامحها فان مانن (1988)، فهي تعكس نموذجًا معينًا يتخذه الباحث تجاه الحالة الفردية المدروسة، إنها دراسة موضوعية للموقف، وتتشكل من خلال الحصول على البيانات من الأفراد في المكان، ُيعد عالم الإثنوغرافيا الواقعية تقارير المعلومات في أسلوب قياسي، غير متأثر ظاهريًا بالميول الفردية والأهداف والأحكام السياسية، سوف يقدم الُمحلِّل تقريرًا تفصيليًا عن الحياة اليومية للأفراد قيد الدراسة، يستخدم الإثنوغرافي أيضًا فئات معيارية للوصف الثقافي (على

سبيل المثال حياة العائلة وشبكة التواصل)، ويستخرج آراء المشاركين من خلال اقتباسات محررة بدقة، وهو يمتلك الكلمة الأخيرة حول كيفية تفسير وتقديم الثقافة.

الإثنوغرافيا النقدية هي نوع من البحث الإثنوغرافي يدافع فيه أصحابه عن تحرير الجماعات المهمشة في المجتمع. يكون الباحثون النقديون عادة أشخاصًا ذوي اتجاهات سياسية، إذ يتطلعون إلى اتخاذ موقف معارض لعدم المساواة والهيمنة. على سبيل المثال، قد يدرس الإثنوغرافي النقدي المدارس التي تقدم امتيازات لبعض الفئات من التلاميذ، أو الممارسات الإرشادية التي تخدم في التغاضي عن احتياجات المجموعات الممثلة تمثيلًا ناقصًا. والعناصر الهامة للإثنوغرافي النقدي هي تجسيد المدخل المحمل بالقيمة، وتمكين الناس من خلال منحهم مزيدًا من السلطة، وتحدي الوضع الراهن، ومناقشة الشؤون المتعلقة بالقوة والسيطرة. سوف يدرس الإثنوغرافي النقدي موضوعات مثل القوة والتمكين والظلم واللامساواة والهيمنة والقمع والسيطرة والفساد.

4. المجموعة الإثنية أو العرقية "

حسب الترجمات العربية هي فئة من الناس الذين يُعرِفون بعضهم البعض على أساس أوجه الشبه مثل السلف، اللغة، المجتمع، الثقافة أو الأمة ، عادة ما تكون الإثنية حالة موروثة على أساس المجتمع الذي يعيش فيه الفرد. الانتماء إلى مجموعة إثنية يميل إلى أن يكون محدد بالاشتراك بالتراث الثقافي، أو السلف، أو أسطورة الأصل، أو التاريخ، أو الوطن، أو اللغة، أو اللهجة، الأنظمة الرمزية مثل الميثولوجيا والطقوس، المطبخ، أسلوب الملابس، والفن.

ثانيا - مفهوم اثنوغرافيا الاتصال

1. الاتصال تجربة انثروبولوجية

إن التعريف الذي وصل إلى اعتبار الاتصال تجربة انثروبولوجية جاء محصلة مسار اتساع مجال الاتصال في الحياة اليومية، و إرادة الباحثين في التحرر من مفاهيم الاتصال الكلاسيكية، وقد بدأت هذه الإرادة مع عدة باحثين في النصف الثاني من القرن الماضي،و من هذه التعاريف الأولى التي كانت أعطت مؤشرات وجود إرادة لهذا التحرر، تعريف**R. Birdwhistell** الذي أكد أن " **الاتصال نسق سلوكي مدمج، يقوم بتصنيف ،وضبط وحفظ السلوكيات، ومنه يجعل هذا الاتصال العلاقات بين الناس ممكنة**".

و تعريف**(لنيكلاس لومان)**، الذي أكد أن "**الاتصال كان دائما عملية اجتماعية، إن الاتصال هو العنصر المحدد و المفرق بين الأنساق، وأنساق الاتصال المعقدة،فبدون الاتصال لا يمكن أن نصف المجتمع المعاصر، لأن الأنساق الاجتماعية تتشكل من خلال الاتصال**" .

ومن هذا أصبح مفهوم الاتصال مفهوما واسعا، فكل فعل أو سلوك أو شيء ما يمكن أن يكون حاملا لرسالة اتصالية. و تعتبر الجوانب الثقافية نسقا محركا لكل سلوك اتصالي، وهو ما أوضحه علماء الأنثروبولوجيا كما هو حال (ايف وينكن)، الذي أكد أن امتداد الاتصال في الأنثروبولوجيا يجب أن يكون مرتبطا بامتداد الاتصال في الثقافات و الجاليات، وأن السلوك والأشياء يتم تنظيمها،واستعمالها،والتردد عليها و تأويلها بشكل انتقائي وفق قيمتها الاتصالية.

إن الاتصال هو تجربة انثروبولوجية قبل كل شيء، لأن الاتصال هو حقيقة في الواقع، ونموذج ثقافي في حد ذاته، وهو أمر محسوم بالنسبة للأنثروبولوجيين، فأن تتصل هذا يعني أن تبادل شيئا ما مع الآخر، فلا يوجد و ببساطة حياة فردية و لا جماعية بدون اتصال، وكل تجربة شخصية أو تجربة أي مجتمع تقتضي تحديدا لقواعد الاتصال، وبما أنه لا يوجد أناس بدون مجتمعات، فمن الطبيعي أن لا يوجد أي مجتمع في غياب الاتصال[56].

[56]رضوان بوجمعة :**أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل -محاولة تحليل أنثروبولوجي** ، **م س ذ** ، ص ص : 98-100

2. تعريف اثنوغرافيا الاتصال

إثنوغرافيا التواصل أو الاتصال وهي كلمة مختصرة من (The Ethnography of Communication)(EOC)، والتي تسمى في الأصل إثنوغرافيا التحدث والخطاب، وهي العلم الذي يهتم بتحليل التواصل ضمن السياق الواسع والذي يشمل الممارسات الاجتماعية والثقافية واعتقادات أعضاء ثقافة معينة أو مجتمع كلام معين. يستنبط علم إثنوغرافيا التواصل من البحث الإثنوغرافي، والتي تعد الطريقة المستخدمة لتحليل الخطاب في علم اللغة، كما أنها تعتمد في تحليل الكلام والخطاب اللغوي على المجال الأنثروبولوجي للإثنوغرافيا. ولكن تعد الإثنوغرافيا الأصولية مغايرة لإثنوغرافيا التواصل،تُراعي إثنوغرافيا التواصل كل من الصيغة التواصلية، والتي قد تحتوي على اللغة المنطوقة لكنها لا تقتصر عليها، ووظيفة هذه الصيغة ضمن الثقافة المدروسة .[57]

التعريف الدقيق

يُقصد بمصطلح إثنوغرافيا الاتصال وصف الخصائص التي يجب أن يعتمدها النهج اللغوي تجاه اللغة وذلك بالطبع من منظور علم أنثروبولوجية الاتصال. ووفقاً للغوي ديل هايمز يجب علينا التحقق وبشكل مباشر في استخدامنا للغة في سياقات المواقف؛ وذلك حتى يتسنى لنا التمييز بين الأنماط اللغوية المناسبة لأنشطة الكلام المختلفة وأخذ المجتمع الخطابي المحيط كسياق لغوي معتمد والتحقق من العادات التواصلية المختلفة. وبعبارة أخرى بدلاً من فصل الأشكال اللغوية للمجتمعات عن وظيفتها يجب أن يتم التأكد من تحليل تواصل الثقافة أو المجتمع اللغوي المحيط فيما يتعلق بالسياق الاجتماعي والثقافي واستخداماته ووظائف المعاني والكلمات الاصطلاحية المنقولة بين أفراد المجتمعات. كما يذكر علماء اللغة ليتل جون وفوس أن العالم اللغوي ديل هايمز يقترح بأن يمكن للثقافات أن تتواصل بطرق مختلفة ولكن جميع أشكال الاتصال تتطلب رمزًا مشتركًا ومتصلين يعرفون ويستخدمون الرموز والأفعال ومجرى

[57] Hymes, Dell (1964). "**Introduction:Toward Ethnographies of Communication**". American Anthropologist. **66** (6): 1–34.

التواصل اللغوي، بالإضافة إلى أساليب ونماذج الرسالة اللغوية وموضوعها والحدث الأساس الذي يشغلها، وكل ذلك يتم إنشاؤه عن طريق نقل الرسالة اللغوية.

3. نشأة إثنوغرافيا الاتصال

اقترح ديل هايمز إثنوغرافيا التواصل كمنهج لتحليل أنماط استخدام اللغة ضمن الجماعات اللغوية، وذلك من أجل توفير الدعم الكافي لفكرته عن الكفاءة التواصلية، والتي نتجت بحد ذاتها كاستجابة منه لتفريق نعوم تشومسكي بين الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي.[58] ،أُطلق عليها في ورقة ديل هايمز البحثية المنشورة في 1962 مصطلح «**إثنوغرافيا الكلام**»، وأُعيد تسميتها في ورقته البحثية المنشورة في 1964 باسم **مقدمة نحو إثنوغرافيا التواصل أو الاتصال** ، وذلك لاستيعاب صفات التواصل غير المسموعة وغير اللفظية، على الرغم من استمرار باحثي إثنوغرافيا التواصل بالتركيز على الكلام على اعتباره من الوسائل البارزة والرئيسية في التواصل.[59]

4. خصائص اثنوغرافيا الاتصال

يُفترض بالمصطلح «إثنوغرافيا التواصل»أن يكون واصفًا للخصائص التي يجب أن يتحلى بها المنهج الرامي لتحليل اللغة من منطلق أنثروبولوجي يجب أن يتحلى هذا المنهج، وفقًا لديل هايمز، بما يلي:

أ) «التقصي المباشر لاستخدام اللغة في سياقات حالات مختلفة لاستشفاف أنماط ملائمة لأنشطة الكلام»،

ب) «أخذ المجتمع كسياق وتحري عادات التواصل الخاصة به بأجمعها». بكلمات أخرى، يجب أن تتم عملية تحليل الصيغة اللغوية وفقًا للسياق الاجتماعي الثقافي لاستعمالها ولوظائف المعاني التي تنقلها، بدلًا من تجريدها من وظيفتها ومن تحليل تواصل المجتمع أو الثقافة ولغوياتها. تصف اللغوية **ديبورا كاميرونه** هذا بقولها:«**إن انصب**

---

[58] *Hymes, Dell (1976).* ***Foundations in sociolinguistics: An ethnographicapproach*** *Philadelphia:University of PennsylvaniaPress.*

[59] Hymes, Dell (1962). **"The ethnography of speaking"**.

اهتمامك على الطريقة التي تنسجم بها إحدى المناسبات الكلامية مع شبكة الاعتقادات والممارسات بأجمعها، فستسهب في وصف أشياء خارج الكلام نفسه مثل وصفك للمتحدثين، ومكان وجودهم، والأعراف والمعتقدات المهمة في حياتهم.

VI. التطور التاريخي لثقافة المجتمعات، وصيرورة التغيرات الاجتماعية و الثقافية.

التطور هو سنة الحياة، فلا شيء يبقى على حاله. فالمجتمعات تتغير وتتطور في علاقاتها مع أفرادها ومع المجتمعات الأُخرى، والفكر البشرى يتطور معها، أو بالأحرى يطورها. فالإنسان هو محرك التطور والتغير كما أنه موضوعه.

والمجتمع المعاصر لما بعد الحداثة ليس هو المجتمع الصناعيالتقليديالذي جاء مع الثورة الصناعية. وجاء هذا المجتمع الصناعي مختلفا عن المجتمع الزراعي السابق والذى كان الأساس في ظهور الحضارات الأُولى.

وكثيرا ما كان يقال إن أهم ثورتين في حياة البشرية كانتا الثورة الزراعية قبل حوالى عشرة آلاف سنة ثم الثورة الصناعية منذ أقل من ثلاثمائة سنة، فالثورة الزراعية بدأت في الشرق الأوسط، (تركيا ، بلاد الرافدين، مصر القديمة)، ومع هذه الثورة الاقتصادية الأُولى لم يعد الإنسان عبدا للطبيعة يقتات بما تفيء به عليه بما يلتقطه من ثمار أو ما يقتنصه صيد، بل أصبح الإنسان مع الزراعة، شريكا للطبيعة، فهو يمهد الأرض ويبذر البذور ويوالى الزراعة بالحرث و الري وأخيرا الحصاد. ومعها بدأ الإنسان يستقر في موقعه مما أدى إلى نشأة المدن، وبدأ تقسيم العمل بين الرجال والإناث، وظهرت السلطة كما صاحبها العديد من المعتقدات الدينية. وهكذا بدأت الحضارات الكبرى في مصر الفرعونية كما في بابل وبلاد الشام ثم الحضارة الإغريقية والفارسية وبعدهما الرومانية.

وظهر الإسلام في الجزيرة العربية ، فقامت حضارة هائلة، بعد أن أسقطت الدولة الفارسية وقلصت من حدود الدولة الرومانية ثم تسيدت العالم حتى منتصف القرن السابع عشر. وبدأ انتقال مركز الثقل إلى أُوروبا منذ هذا التاريخ بعد نهاية عصر النهضة ومع بداية عصر التنوير في أُوروبا، وذلك قبل أن تنفجر الثورة الصناعية في منتصف القرن الثامن عشر في إنجلترا ثم فرنسا ومن بعدهما مختلف الدول الأُوروبية ثم أمريكا.

ومع الثورة الصناعية عرفت البشرية قفزة نوعية جديدة لم يعد معها الإنسان خاضعا تماما للطبيعة كما في المجتمعات البدائية، ولا حتى شريكا معها كما في المجتمعات الزراعية، بل أصبح أو كاد يصبح سيدا للطبيعة، يخضعها ويشكلها وفقا لمعارفه العلمية. وها نحن ندخل في مرحلة ما بعد الصناعة مع ثورة المعلومات، وحيث لم تعد الصناعة إضافة إلى قوى الإنسان العضلية، بل أصبحت التكنولوجيا الحديثة إضافة إلى إمكانياته العقلية. وتنوعت

اهتمامات الإنسان، وكان اختراع الماكروسكوب والميكروسكوب رمزا لاهتمام الإنسان المعاصر بالآفاق الكونية على اتساعها من ناحية، والخوض في أكثر أجزائها صغرا من ناحية أُخرى. وتعددت اهتمامات الإنسان من أبحاث الفضاء إلى تكنولوجيا النانو، فنزل الإنسان على القمر وأرسل المركبات الفضائية للإبحار في الفضاء في نفس الوقت الذى انغمس في أصغر مكونات المادة وأجزائها للبحث عن أسرارها.

وإزاء هذا المشهد المبهر لم يكن غريبا أن يصبح موضوع «التطور» هو أحد أبرز اهتمامات المفكرين خلال القرنين الماضين. فالإنسان كائن متطور كما أن العالم، بل والكون نفسه، في تطور مستمر، وبالتالي فلا بد وأن نتساءل عن الفكر البشرى وهل يعرف هو الآخر تطورا مماثلا. فماذا عن التطور الثقافي، وهل يختلف عن التطور البيولوجي مثلا؟

أولا : مفهوم التطور الثقافي

التطور الثقافي هو نظرية تطورية للتغير الاجتماعي .تتبع هذه النظرية تعريف الثقافة على أنها «معلومات قادرة على التأثير على سلوك الأفراد الذي يكتسبونه من أفراد آخرين من نوعهم من خلال التدريس والمحاكاة وأشكال النقل الاجتماعي الأخرى». التطور الثقافي هو تغير هذه المعلومات بمرور الوقت.[60]

طُورمفهوم **التطور الثقافي** ، المعروف تاريخيًا أيضًا باسم **التطور الاجتماعي الثقافي**، في الأصل في القرن التاسع عشر **من قبل علماء الأنثروبولوجيا** المنبثقين عن بحث **تشارلز داروين حول التطور** . حاليًا، أصبح التطور الثقافي أساسًا لمجال متنام من البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، بما في ذلك الأنثروبولوجيا والاقتصاد وعلم النفس والدراسات التنظيمية.

سابقًا، كان يُعتقد أن التغير الاجتماعي نتج عن تكيفات بيولوجية، لكن علماء الأنثروبولوجيا يقبلون الآن عمومًا أن التغيرات الاجتماعية تنشأ نتيجة لمزيج من التأثيرات الاجتماعية والتطورية والبيولوجية[61].

---

[1] J., Richerson, Peter (2005) ،Not by genesalone : how culture transformedhumanevolution ،Boyd, Robert, 1948- ،Chicago: University of Chicago Press ،ISBN 978-0226712840 ،OCLC 54806438.

[61] ***"cultural evolution | social science"*** ،*Encyclopedia Britannica*

كان هناك عدد من الأساليب المختلفة لدراسة التطور الثقافي، بما في ذلك نظرية الوراثة المزدوجة، والتطور الاجتماعي والثقافي، وعلم الذاكرة، والتطورية الثقافية والمتغيرات الأخرى في نظرية الاصطفاء الثقافي. تختلف المناهج ليس فقط في تاريخ تطورها وانضباطها الأصلي ولكن في كيفية تصورها لعملية التطور الثقافي والافتراضات والنظريات والأساليب التي يطبقونها على دراستها. في السنوات الأخيرة، كان هناك تقارب في مجموعة النظريات ذات الصلة نحو رؤية التطور الثقافي كنظام موحد في حد ذاته.

ثانيا مفهوم التطور الثقافي الاجتماعي

يشير التطور الاجتماعي الثقافي أو التطورية الاجتماعية الثقافية أو التطور الثقافي إلى نظريات التطور الثقافي والاجتماعي التي تصف كيف تتغير الثقافات والمجتمعات مع مرور الوقت.

في حين أن التنمية الاجتماعية الثقافية تتعقب العمليات التي تميل إلى زيادة تعقيد مجتمعٍ ما أو ثقافةٍ ما، فإن التطور الاجتماعي الثقافي ينظر أيضًا في العملية التي يمكن أن تؤدي إلى انخفاض في التعقيد (التنكس) أو التي يمكن أن تحدث تباينًا أو انتشارًا دون أي تغييرات مهمة ظاهرة في التعقيد (التخليق).

التطور الاجتماعي والثقافي هو «العملية التي تتأثر بها هيكلة إعادة التنظيم عبر الزمن، وتنتج في نهاية المطاف شكلًا أو هيكلًا يختلف نوعيًا عن شكل الأجداد.[62]

تهدف معظم مناهج القرن التاسع عشر وبعض مناهج القرن العشرين المرتبطة بالثقافة الاجتماعية إلى تقديم نماذج لتطور البشرية ككل، بحجة أن المجتمعات المختلفة قد وصلت إلى مراحل مختلفة من التطور الاجتماعي.

[62]**World Religions and Social Evolution of the Old World OikumeneCivilizations: A Cross-cultural Perspective** (First ed.). Lewiston, New York: Edwin MellenPress.2004 ، pp. 1–8..

تركز أشمل محاولة لتطوير نظرية عامة للتطور الاجتماعي على تطوير المنظومات الاجتماعية الثقافية، وهو عمل تالكوتبارسونز (1902-1979)، وطُبِق على نطاق يشمل نظرية تاريخ العالم.

تركز الأساليب الأكثر حداثة على التغييرات الخاصة بالمجتمعات الفردية وترفض فكرة أن الثقافات تختلف في المقام الأول وفقًا للمدى الذي قطعته كل ثقافة على مقياس خطي من التقدم الاجتماعي.

يعمل معظم علماء الآثار وعلماء الأنثروبولوجيا الثقافية الحديثة في أطر نظرية التطور الحديثة وعلم الأحياء الاجتماعي، ونظرية التحديث.

وُجِدت مجتمعات مختلفة كثيرة على مرّ التاريخ البشري، مع تقديرات تصل إلى أكثر من مليون مجتمع منفصل؛ ومع ذلك، اعتبارًا من عام 2013 ، قدّر عدد المجتمعات المتميّزة الحالية بنحو 200 مجتمعٍ فقط.

ثالثا: التغيّر "الاجتماعي-الثقافي "في عصر الوسائط الرقمية

يطرح التفكير في ماهية التغير "الاجتماعي-الثقافي" العديد من المفارقات والإشكالات المرتبطة بعصر الوسائط الرقمية؛ ذلك أن "التغير" من الظواهر الأساسية التي نالت اهتمام العديد من الباحثين المعاصرين لارتباط مفهوم التغير بعصر الوسائط الرقمية.

فعصر الوسائط الرقمية و فر أرضية خصبة للتغيّر والتحول في فضاءات جديدة تسمح بتشكّل الفعل الجماعي بقدر كبير من الحرية، وهو الفعل الذي فتح آفاقا جديدة للتغيير الاجتماعي والثقافي شمل عمليتي التواصل والتبادل بشكل عام داخل عالم افتراضي ساهم بدوره في خلق مجتمع الرقمية في إطار النسق الثقافي العالمي بفعل تأثير نظم التواصل الرقمي.

1. مفهوم التغّير

لقد شكل "التغّير" والتحول "الاجتماعي-الثقافي" مدخلا أساسيا لمساءلة المجتمعات المعاصرة؛ وذلك في صلب السرديات النظرية الكبرى على غرار الماركسية والوظيفية والتفاعلية الرمزية، والتي اعتمدت في آليات اشتغالها على مفهوم التغير وآلياته وشروط تحققه وحدوده، حيث نلتمس في مصطلح التغّير من الناحية اللغوية إشارة إلى مفهوم التحول **"فالتحول ينطوي على الاختلاف، ويقال غيرت الشيء؛ أي جعلته على غير ما كان عليه، أو أصلح من شأنه أو بدله** [63]"كما أن التغير ليس مفهوما حديثا، بل هو مسألة طبيعية تشهدها جميع المجتمعات الإنسانية، وهو نتيجة لعوامل ثقافية وسياسية واقتصادية متداخلة في ما بينها **"التغيير هو ظاهرة ملازمة على الدوام للحياة الاجتماعية**[64]**"**

تكتسي مباحث التغّير"الاجتماعي-الثقافي" في عصر الوسائط الرقمية من الأهمية ما يجعلها طلائعية ومسألة تفرض نفسها في ظل الظرفية التاريخية والحضارية لعالمنا المعاصر اليوم الموسوم بالتحول التكنولوجي، باعتبار هذا التحول يحدد خط الفصل والوصل بين عصر الحداثة وعصر ما بعد الحداثة بما يحيل إليه من تحول عميق للدلالة في علاقة بالمفهوم أو الماهية، خاصة إذا ما علمنا أن التغيير ليس مرادفا للتقدم بما هو إيجابي دوما وما لا يحتمل السلبية، أو تراجعا بل هو يسير في الخطاب التطوري بما لا يشوبه التراجع، وحتى يتسني لنا تحديد مفهوم "التغّير" الذي سوف نتناوله في إطار العلاقة مع الوسائط الرقمية، وكذلك في إطار العلاقة بين المجتمع والثقافة.

فإذا كان "التغير الاجتماعي" محيلا على التحول في أشكال التفاعل الاجتماعي الذي يحدث في النظم والأجهزة الاجتماعية والاتصالات الشخصية، فإن "التغّير الثقافي" يشير إلى التغير في أنساق وأفكار متعددة من معتقدات وقيم ومعايير، وهو ما يعني أن التغير الثقافي هو الوعاء الحامل للتغير الاجتماعي في السياق المفهومي العام لهذه الدلالة المعرفية والتحولات الاجتماعية، كما أن التغير الاجتماعي هو جزء لا يتجزأ من التغيير الثقافي الذي يشمل جميع

---

[63] مجموعة مؤلفين (2004) **المعجم الوسيط**. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ط 4. ص 692

[64] أنتوني غدنز (2005)**علم الاجتماع**. ترجمة فايز الصياغ بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ص 743

التغيرات التي تحدث في فروع الثقافة كالفن، الفلسفة والتكنولوجيا. وعلى هذا الأساس يكون التغير الاجتماعي نتاجا للتغير الثقافي والعكس بالعكس.

يمكن القول إن الإنسان الحداثي أبدع في إنتاج القيم، انطلاقا من عقله المفكر كإنسان حضاري وثقافي يعيش في العالم، رغم أنه قد سجن ذاته في التفكير العقلاني، وفي نسق العلامات الثقافية، كما سجنت قبله الفلسفة المثالية عبر موضوعاتها المتعلقة بالإنسان والعالم في نسق المثالية والثنائيات.

2. ماهية التغيرات في العلاقات الاجتماعية والثقافية

لقد كان حدث إعلان موت الحداثة مع "ألبيرت اشفيستر (AlbertsAschweitzer) "بمثابة الزلزال الذي أطاح بالمشروع الحداثي الديكارتي "أنا أفكر" أين تم استبعاد مركزية الذات من التفكير والفعل، وتحولت إلى تابعة مشروطة بمحددات خارجية خارجة عن إدارتها مع بزوغ فجر مشروع "ما بعد الحداثة" لينزلق العقل في مستنقع فقدان مركزيته في التفكير والمعرفة، يبني تصوراته على أنقاض نهاية الحداثة حيث ساهم هذا التحول في إعادة النظر في كل التصورات البشرية تزامنا مع ولادة عصر التكنولوجيا كمرحلة جديدة لما بعد الصناعة؛ أين تتوجت هذه المرحلة بظهور الوسائط الرقمية والانتشار الواسع يتم فيها تحويل الأفراد والمجموعات إلى أشباح مجردة مصبوغة بالوهم تعرف باسم الجمهور على حد تعبير "كيركيغارد."

وهو مما يضعنا أمام بداية سؤال إشكالي جديد حاضر باستمرار في جميع المجالات حول هذه التحولات التي كانت موجودة بالتوازي مع بداية نقلة أخرى على الصعيد الثقافي متمثلة في التحولات الثقافية المتسارعة داخل المجتمعات المعاصرة كما يلخصها "هويسنز Hyssens" ؛ فالعصر لما بعد الحداثة ارتكز على تقويض الروابط الاجتماعية والطعن في فاعليتها أين تغيرت مع هذا التصور مكوناتها الثقافية، خاصة مع نهاية الأقطاب الكلاسيكية المسيطرة (الدولة الأمة، الأنظمة الكليانية، الأحزاب ذات التوجه المحافظ(ونهاية عصر الزعماتية)أبطال التاريخ) ورموز الشعوب أمثال "ستالين، كاسترو، ماو" لتنتهي الرغبة اللانهائية لمعيارية

المعرفة مع التصور الحداثي لصالح معيار التقنية الرقمية وإعلان زمنية فقدان الهالة والهيبة، وبداية زمنية الهدم على حد تعبير"بنيامينbenjamin" ؛ فقد انتهت إيديولوجيات الثقافة مع بزوغ وانبلاج أنساق ثقافية جديدة، تشهد حالة ولادة دائمة ومتجددة موسومة بتسارع مدهش شقت طريق الإنسان إلى المعاصرة **"لقد غيرت ما بعد الحداثة من القوالب الجاهزة وبعثرت القواعد والقوانين والأنظمة التي تبني الخطابات الفكرية والفنية والعلمية أيضا[65] ."**فالنزعة المعاصرة هي النزعة لما بعد حداثية في بدايتها، وهي انعكاس لتغير "اجتماعي-ثقافي" جديد ومنعرج تاريخي داخل المجتمع الإنساني بالمفهوم الكوني للكلمة، كما هو الحال في النزعة الما بعد حداثية، باعتبارها النزعة الحداثية في نهايتها، وهذا حال المخاض وعسر الولادة المتواتر عبر حقب التاريخ والمؤسس للتحولات الاجتماعية والثقافية للمجتمع المعاصر، وعلى الرغم من خصوصية ظاهرة البحث المعاصر، انطلاقا من فكرة خصوصية المجتمعات، واعتبار أن شكل المجتمع هو انعكاس لشكل خاص من القيم الثقافية والاجتماعية، وهي احتياجات مرتهنة بالتحولات التي تقدمت ظهور ما بعد الحداثة، وهو مفهوم متشعب ومتداخل مع حقول متعددة من المصطلحات كما بعد التصنيع وما بعد الحضارة.

ظهر تيار جديد في البحث المعاصر مناهض بقوة لتيار ما بعد الحداثة، واعتبر أن مسار الحداثة لم يكتمل بعد، وداعيا إلى تصحيح مسار الحداثة؛ ومن أبرز المناهضين لتيار ما بعد الحداثة "فريدريك جيمسون"، "ديفيد هارفي" وأبرزهم الفيلسوف الألماني "هابرماس."

هذه الوضعية المتغيرة والمتحولة يشوبها الغموض، وقد أنتج التفكير والبحث المعاصر في هذه الإشكالات العديد من الأسئلة، على اعتبار أن الرهان الأساسي، الذي يتحكم في التغير الاجتماعي والثقافي هو إدراك التغير داخل الحياة الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة، والتي صارت متغيرة ومحددة بعناصر جديدة هي عناصر العصر التكنولوجي الموسوم بالتحول في القيم الاجتماعية المتمثلة في نمط العيش للأفراد والمجتمع، وكذلك نوعية السلوك وجوهر الوجود وغايته، حيث تشكل هذه القيم معيار التصرفات التي تعني بتنظيم العلاقات الاجتماعية

[65]جان-فرانسوا ليوتار، **في معاني ما بعد الحداثة، نصوص في الفلسفة والفن**،ترجمة وتعليق السيد لبيب، ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء -المغرب، الطبعة الأولى 2016، ص8

ووسائل الضبط الاجتماعي؛ في حين أن "الحياة الاجتماعية" في المجتمعات المعاصرة أصبحت شديدة الارتباط بالتواصل الرقمي بفعل استخدام تكنولوجيا المعلومة، ولاسيما أن الحياة الاجتماعية والثقافية الحديثة تحيط الإنسان المعاصر بعدد هائل من العناصر الثقافية والرموز معززة بمعاني "الواقع المعززréalité augmentée"، رغم أنها لا تحمل معاني عميقة بقدر ما يحمل معاني متعددة ومعلومات خاصة برزت مع تعميم الثقافة الاستهلاكية، باعتبارها آلية من آليات الهيمنة المفروضة على المجتمعات التقليدية، ومجالا خصبا لتعزيز أنماط التدويل في الإنتاج والتقنية، وهو تغير ثقافي أحدثته الشركات متعددة الجنسيات لاهتمامها بإنتاج رموز الثقافة الاستهلاكية خدمة للسلع المادية المنتجة، فتغيرت قيمة العمل المنتج ليحل محلها الأفراد كقيم استهلاكية، ولاسيما مع غواية الإعلان عن السلع وطريقة عرضها وأساليب بيعها، فتحول الإنسان بذلك إلى مستهلك مولع بإشباع حاجته اليومية.

تطرأ عمليات التغيير على الجانبين المادي واللامادي في الحقل الثقافي، لتؤثر في ما بعد على التحولات في قيم المجتمع، فالتغير الذي يصيب مكونات الثقافة وعمليات التحول بجانبها المادي واللامادي تسري في جميع أجزاء البناء الاجتماعي، وبهذا يمكن الجزم أن التغيرات التي تطرأ على القيم الثقافية للمجتمع ترتبط بالتغير الذي يطرأ على النسق الاجتماعي الذي يؤثر ويتأثر بهذه التغييرات في علاقة بنسق الثقافة السائدة في المجتمع.

3. ملامح ودلالة التغيّر "الاجتماعي-الثقافي "في عصر الوسائط الرقمية

إن المجتمع كبنية أو كنسق تفكير جمعي يقبع في قياس المعيارية، حيث نجد ههنا الموقف المناقض في خطاب الحداثة المتمثل في الإيمان المطلق بالعقلانية الشمولية، وهو خطاب أدى إلى تغييب الجانب الوجداني وإلغاء كل ما هو حسي لصالح ما هو عقلي، وهذا النمط من التفكير ساهم في ولادة الحدث الأبرز تاريخيا بالمقياس الفني، وهو المنعرج الانطباعي في الفن الذي أخذ طريقه في هدم القيم والمفاهيم القديمة والفنية على وجه التخصيص، وإعادة بنائها من جديد متوسلا في ذلك التغير الحاصل في الثقافة الشعبية السائدة، باعتبار انعكاسها على نمط تفكيره؛ فمثل هذا المنعرج نقطة فصل في السلم التاريخي للحقب الزمنية في علاقة

بتتالي المدارس الفنية، نزعم أنها نتيجة لتأسيس لما بات يعرف بما بعد الحداثة في الفن، ومحاولة أخرى لإعادة رسم الخارطة "الاجتماعية-الثقافية" في علاقتهما بإستيطيقا الفن عبر حالة من الاينومي(اللامعيارية) خاصة مع انبثاق تعبيرات ثقافية متعددة ومتجددة تميزت بنزعتها الانطباعية ومجاورتها للثورة التكنولوجية وعولمة الثقافات، وانخراط بذلك الأفراد والمجتمعات في سيرورات تاريخية جديدة بات يستوعب "التواصل الكوني" المتمخض والناتج عن التحولات التي شهدتها بنية المجتمعات وبنية الثقافات على حد السواء؛ فكل ما سبق ذكره كان له تأثير كبير ومتفاوت على التغير الاجتماعي-الثقافي العالمي، وهو ما بات يعرف اليوم بالمجتمع الشبكي على حد تعبير "مانويل كاستلز."

تروم مساءلة التغّير "الاجتماعي- الثقافي" من خلال الوسائط الرقمية تقاطع مسألة التأمل في مسار العبور من حميمية اجتماعية بماهي خاصية تواصلية للمجتمعات التقليدية إلى حميمية رقمية للمجتمع الحديث غارقة في ارتباط وثيق مع الأنساق الثقافية الجديدة، ساهمت في إنتاج "**مجتمع افتراضي**[66] ."فالإنسان لا تحركه دوافع مادية مرتبطة بالتقنية والمادة فحسب، بل تحركه دوافع حسية يبحث عنها في الرموز الثقافية التي تجتاح التكنولوجيات الرقمية، باعتباره كائنا ثقافيا مدفوعا بدوافع ثقافية تؤثر في وعيه وتمثله للأشياء المنعكسة على نمط تفكيره في التجربة الواقعية المادية، وفي نمط سلوكه داخل العالم، وهو ما ذهب إليه "ماكس فيبر" في تناوله لمفهوم العبور، باعتباره لحظة فارقة في المجتمع الأوروبي كنموذج أصلي للتقدم، حيث يرى أن الإنسان لا تحركه دوافع مادية، بل يزعم أن هناك دوافع ثقافية تؤثر في تنمية وعيه وسلوكه؛ فمرحلة العبور من الحداثة إلى ما بعدها ومن المجتمع الواقعي إلى الشبكي رافقها تحول هائل في مستوى البنية الثقافية، مهدت لمفارقة جديدة شملت إعادة إنتاج لبعض الأنساق الثقافية السلفية للمجتمعات القديمة في النسق الثقافي الحديث للمجتمعات المعاصرة، تولد عن ذلك ولادة أنساق ثقافية جديدة معولمة في علاقة بمجتمع الاستهلاك، ومتزامنة الظهور مع النسق العالمي الجديد الموسوم بالغزو التكنولوجي للحياة اليومية، وهو ما

[66]ظهر مصطلح المجتمع الافتراضي في سنة 1993 عنوانا لكتاب "هوواردراينغولد"، وهو مجتمع يتفاعل في بيئة افتراضية إلكترونية رقمية وهو نتاج لثورة الاتصال والإنترنيت وقد ساهم هذا التطور التكنولوجي في انتقال المجتمع الإنساني من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث ومعاصر

أدى إلى تواجد نسق ثقافي كلي كوني بمعالم متغيرة ومغايرة للسائد والقديم، والمقصود بالحميمية الرقمية هاهنا ليس المفهوم الكلاسيكي المرتبط بالعاطفة والانفعالات وملكة الشعور أو التحليل النفسي الفرويدي، بل هي حميمية النسق الثقافي الذي صبغ العالم بسحرية عاطفية موهمة بقيمة الحب المتعارف عليها، بل حميمية جديدة قابلة للإدراك والتمثل لوعي معاصر جديد مصبغ بالمعاني والدلالات المستحدثة. وهذا التحول من القديم إلى الجديد هو تحول براديغمي خص حقول الفلسفة والفن والعلوم الاجتماعية والثقافية عموما، كما هو الحال للتحول الذي شهدته الأنثروبولوجيا من خلال البراديغم الأنثروبولوجي المعاصر الذي أسس لنهج التحليل الثقافي من خلال التحول إلى استيعاب إنتاج الثقافات وصيرورات التداخل الثقافي، متماهيا في ذلك مع سياق التحول المتسارع للعالم في ظل ما يشهده من تطور علائقي جديد موسوم بظهور التكنولوجيات في عصر الوسيط الرقمي في علاقته بالفرد والمجتمع الواقعي، كما هو الحال في علاقته بالفرد والمجتمع الافتراضي يقول" **غوستاف لوبون**[67] "في كتابه **اختلال التوازن العالمي**" :إن حياة المجتمع الحديث تنتسب إلى عالمين عالم واقعي، وعالم غير واقعي "بما هو انعكاس للثورة التكنولوجية الثالثة، ثورة المعلومات والاتصالات من جهة، وموجات التعولم المعاصرة المتلاحقة من جهة أخرى، حيث يقبع عالم الوجود الرقمي اليوم خارج التحديد الزمي والمكاني؛ فلا روح له ولا جسد له، بل هو إبحار في الزمن المطلق بما يحمله من رموز اختزن واختزل فيها معنى العالم، وقام بتحويل الانطباعات الواقعية إلى انطباعات رقمية مرتبطة بالفضاء الافتراضي؛ أين تم القبض في هذا الفضاء الجديد على المعنى بالمعنى الخاص للكلمة؛ فقد جمع جميع الثقافات واحتوى جميع الخصوصيات داخل الكل الكوني المنسوج بنسيج واحد يحمل معانى عميقة تجسد مرحلة الحضور الكوني للمجتمعات، فلم يعد شرطا أن يكون التواصل في أي مجتمع من العالم بين أفراد المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات التواجد بالحضور المكاني أو التقدير الزماني، فلم يعد هناك معنى للزمان والمكان في عملية الاتصال والتواصل الافتراضي على خلاف إكراهات العالم الواقعي؛ فمرحلة العبور بالمفهوم التواصلي

[67]غوستاف لوبون: مؤسس علم نفس الجماهير

التقني للكلمة ارتهنت بثلاثة أبعاد كما حددها "هبرماس" من خلال البعد التقني، البعد الثقافي، البعد الاقتصادي، حيث التواصل بتعبير"هبرماس" هو مزيج تفاعل الأبعاد الثلاثة واندماجها.

إن العبور العالمي من الواقعي إلى الافتراضي في المجتمعات الانتقالية تخلله تغيير شامل في المفاهيم والممارسات؛ وهذا التغيير هو انعكاس لتطور النمط الاجتماعي والثقافي في المجتمع بنفس الوتيرة، فنجد أن الاتصال هو أول وسيلة معلوماتية مهد للعبور إلى عالم التكنولوجيات وتفرعاته المتعددة وقيمه التواصلية المتنوعة، وكثافة الاتصال في العالم المعاصر جعلنا نقف على عتبة الجحيم، ونشاهد مخاض ميلاد مجتمع الشبكيةsocieteenréseaux)) المتمخض عن منظومة "اجتماعية- ثقافية"، سياسية واقتصادية جديدة ومتغيرة تقوم بتوظيف كل ما هو رقمي وافتراضي بلا حدود، فرغم أن مرحلة العبور التي تعيشها المجتمعات في العالم بدرجات متفاوتة في مقارنتها بالمجتمعات الغربية والمجتمعات الانتقالية وبقية المجتمعات، وهو ما أفضى إلى ظاهرة ثقافية كونية،

لقد أهملت الحداثة الجوانب الحسية المرتبطة بالإنسان وقيمه العليا بتمجيدها المطلق للعقل، وإهمالها للأبعاد الأخلاقية لصالح الأبعاد المادية، فنجم عن ذلك تشيئة الإنسان والعالم لصالح كل ما هو مادي، لتتحول من خلالها أبرز المفاهيم التي تعتبر مفخرة الحداثة إلى مفاهيم مشكوك فيها وفي صلاحياتها، وهو ما ساهم في ولادة نقيض هذه المفاهيم على حساب مفاهيم سامية ومثالية، ليتحول مفهوم الحرية على سبيل المثال لا الحصر إلى عبودية انتهت إلى سجن الذات وخضوعها لشوفينية الملذات المادية، حيث أدت إلى تحويل الأسس العقلانية إلى أسس غرائزية تمظهرت في تعبيرات فلسفة ما بعد الحداثة من خلال دعواتها للنزعات الفوضوية المطبوعة بالنظرة التشاؤمية للوجود داخل العالم، وتبلورت كردة فعل على المجتمع التكنولوجي الصناعي المعاصر، باعتباره "مجتمع السيطرة الكلية" على حد رأي "ماركيوز"؛ أين نجح هذا المجتمع المستحدث في استنفار وتعبئة جميع الطاقات التي يملكها وينتجها الإنسان إلى حد الاستنزاف، فقد استنزفت مرحلة العبور إلى المجتمع الشبكي المعاصر طاقات الإنسان المعاصر في الواقع المادي، واستبدلت هذه الطاقة بنوع آخر من الطاقات الافتراضية يطغى

عليها الانطباع الحسي في واقع جديد هو الواقع الافتراضي اليوم الذي يتمازج داخله كل ما هو واقعي بما هو خيالي وحسي وكل ما هو حسي عاطفي بما هو عقلاني عملي.

فهل أن إعادة التفكير في الوسائط الرقمية من ناحية المعني والأهداف هو حدث ثقافي اختص به الإنسان المعاصر اليوم؟ أم إن العبور إلى العالم الافتراضي هو تناص متمخض عن طفرة تكنولوجية؟

VII. العولمة، اللغات والهويات

ارتبط العالم العربي بمشرقه ومغربه في العصر الحديث سياسيا واقتصاديا وعسكريا بالاستعمار الأوربي بمختلف أشكاله، فكان الكعكة التي تقاسمتها الدول الغربية، وحاول الغرب الأوربي بأساليب شتى ووسائل مختلفة تغريب الشعوب المستعمرة فكريا وثقافيا ودينيا ولغويا، مستغلا في ذلك التخلّف الذي تعانيه الشعوب آنذاك في البلاد العربية، في مقابل حداثة غربية

ذات قّيم راقية ومبهرة، ومنتجات فكرية وعلمية وتكنولوجية صناعية برّاقة. فاستسلم العرب والمسلمون في بلادهم بسبب ضعفهم وتخلّفهم للمحتل ولقّوته العلمية والتكنولوجية والعسكرية بمقاومة حينا ومن غير مقاومة في أحيان أخرى.

لقد باءت بالفشل كل محاولات الاستعمار في مختلف بقاع البلاد العربية طمس هويتنا العربية الإسلامية، من خلال ضرب مقوميها الأساسيين اللّغة العربية والإسلام، ومنذ أوائل القرن التاسع عشر حتى الآن والجدل قائم بين الهوية العربية الإسلامية وأحد مكونيها اللّغة العربية والعولمة اللّغوية والثقافية، خاصة بعد صدمة التخلّف وفشل كافة مشاريع ومحاولات النهضة، جدل بين عولمة مهيمنة متسلطة تقودها أمركة متصهينة، لا تعترف بالحوار النّدي والتنوع الثقافي واللّغوي وغيره، همّها الانتشار على حساب ثقافات وحضارات ولغات أخرى تدفعها للانصهار في فضاءها متجاهلة سنّة الاختلاف بين بني البشر وفي الجغرافيا والتاريخ عموما، وبين هوية عربية إسلامية وما تملكه من خصوصية ومقومها الأساسي اللّغة العربية، عولمة شرسة لا تعترف إلاّ بالأقوياء ولا مكان فيها للضعفاء، عولمة تخّير بين خصوصية وانعزال وقبوع وتقوقع أو كونية وانفتاح واندماج وذوبان وأحلى الخيارين مّر.

إنّ جدل العولمة واللّغة في عالمنا العربي والإسلامي الراهن يعّبر عنه وقوف اللّغة العربية باعتبارها مقوما أساسيا في الهوية العربية الإسلامية وبما تملكه من خصوصية ثقافية ودينية وتاريخية في وجه مطالب العولمة وأهدافها وتحّدي ما حققته العولمة وتحققه في الواقع والحياة، فهي لم تقف عند الهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية بل تعّدت ذلك إلى ممارسة الهيمنة الثقافية واللّغوية، فهي تفرض لغة كونية في التعليم والإعلام والإدارة والاقتصاد وسائر قطاعات الحياة من دون اعتبار للتعدد والتنوع في الألسن.

إنّ جدل العولمة والهوية اللّغوية والثقافية في فكرنا وفي عالمنا العربي والإسلامي المعاصر ين طرفين، طرف العولمة ومسعاها الهيمنة والتسلّط والانتشار والاحتكار مستغلّة قّوة العلم والتكنولوجيا وقّوة المال والعسكر، وتحكمها فلسفة طابعها شمولي وتديرها إيديولوجيا طابعها كوني تعّبر عن هوية لغوية وثقافية غربية وتفرض لغة كونية وثقافة كونية في مقابل هوية

عربية إسلامية ذات مقومات ثقافية وتاريخية لها خصوصية ذاتية نفسيا وأخلاقيا واجتماعيا وثقافيا ودينيا، تسعى في سياق الجدل القائم بينها وبين العولمة إلى تحقيق مشاركة إيجابية في الحراك الحضاري والثقافي الكوني الراهن على سبيل النّدية، وتستهدف التوازن والانسجام الفعّال والإيجابي مع التحولات الراهنة والتحديات التي تفرضها العولمة وما أكثرها.

إنّ حاجة الفكر العربي المعاصر إلى تأصيل نظري علمي دقيق وفلسفي عميق حول اللّغة العربية والهوية العربية الإسلامية في ظل تحدّيات العولمة يمثّل بحقّ منطلقا مهما ومدخلا أساسيا لدراسة وفهم وتفسير ظاهرة الجدل بين اللغة العربية مع الهوية العربية الإسلامية وتحديات العولمة، لأنّ غياب تصور دقيق وعميق للعلاقة بين لغتنا وواقع العولمة وانعدام نظرة فاحصة تنّم عن بحث دقيق عميق وجريء حول جدل اللّغة العربية ومعها هويتنا العربية الإسلامية والعولمة بهيمنتها على الحياة عامة وبشقيها اللّغوي والثقافي عموما يزيل كل إستراتيجية بنّاءة لتجاوز الجدل نحو انسجام بنّاء ومفيد ويلغي كل أمل في الانخراط الإيجابي في الحاضر ويقضي على أيّة مشاركة فعّالة وإيجابية في التاريخ الكوني ولا يسمح بإنجاز نهضة جادّة وحقيقية.

نتعرض بالتحديد والضبط والتعريف لثلاثة مفاهيم رئيسية وجوهرية في المحاضرة هي اللّغة والهوية والعولمة، ولثلاثة مفاهيم أخرى مهمّة منبثقة عن المفاهيم الثلاثة الرئيسية وهي الهوية اللّغوية والهوية الثقافية والعولمة اللّغوية والعولمة الثقافية.

أولا: اللّغة

أ - المعنى اللّغوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور في تحديد الاشتقاق اللّغوي لكلمة "اللّغة" ما يلي:

"اللّغة من لغا في القول يلغى وبعضهم يقول يلغو ولغي يلغى لغة ولغا يلغو لغوا:تكلّم. وفي الحديث: من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه صه فقد لغا أي تكلّم ...واللغة: اللّسُن

وحدّها أنّها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فُعلة من لغوت أي تكلمت أصلها لُغَوة والجمع لغات ولغون".[68]

لفظ اللّغة يرادفه لفظ الحديث أو التحدث ويرادفه الكلام أو التكلم.

ب- المعنى الاصطلاحي:

لا يوجد تعريف واحد لدى علماء اللّغة للّغة متفق عليه بل تعددت التعريف وتباينت نذكر بعضها:

-تعريف ابن جني للّغة:"أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم". [69]

- عرّفها آخر:"وسيلة صوتية يستخدمها الإنسان للتعبير عمّا لديه من أحاسيس أو أفكار، وهذه الوسيلة تمكّنه من التفاهم مع الآخرين".[70]

- عرّف القدماء اللّغة بأنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ولم يتجاوز المحدثون هذا التعريف، لكن عند ربط اللّغة ليس بوظيفتها بل بالإنسان ككل "فاللّغة هي الإنسان، وهي الوطن والأهل، واللّغة هي نتيجة التفكير..هي ما يميّز الإنسان عن الحيوان وهي ثمرة العقل والعقل كالكهرباء يُعرف تأثيره ولا تُرى حقيقته".[71]

-وتُعرّف اللّغة عند علماء النفس اللّغوي بأنّها «مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور، أي عن حالات الفكرية والعاطفية و الإرادية للإنسان ".[72]

اللغة في ربطها بوظائفها أو في ربطها بالإنسان فهي أداة تفكير وتعبير وتواصل وتفاهم على المستوى الفردي أو المستوى الاجتماعي الأممي والإنساني عامة، وعلى الصعيد الثقافي

---

[68]ابن منظور، أبو الفتوح محمد بن مكرم: **لسان العرب**، الجزء الخامس عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون طبعة،بدون سنة، ص 251

[69]ابن جني، أبو الفتوح عثمان: **الخصائص**، اج 1،تحقيق عبد الحكيم محمد،المكتبة الوقفية، بدون طبعة، بدون سنة، ص 44.

[70] سويد عبد الله ومصطفى عبد الله: **اللّغة العربية**، ط 3،دار الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ليبيا، سنة 1982، ص 78.

[71]4- سعيد أحمد بيومي**أم اللّغات، دراسة في خصائص اللّغة العربية والنهوض بها**، ط 1 ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، سنة 2002،ص 102.

[72]أبوبكر العزّاوي: **اللّغة والحجاج**، دار إفريقيا الشرق، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ص 43.

والحضاري، اللغة هي الإنسان والحياة الإنسانية وخارج اللغة لا تتجسد ولا تتحقق الإنسانية بأبعادها المختلفة.

ثانيا - الهوية:

أ- المعنى اللغوي:

لفظ "هوية" مشتق من الضمير الغائب "هو" الذي تحوّل إلى اسم "هوية" وترادف كلمة هوية في اللغة العربية عدة ألفاظ نذكر منها:

- الذاتية ليس بمعنى تدخل الذات في الموضوع في مقابل الموضوعية بل تعني العناصر والمكونات الثابتة التي تحدد وجود الشيء، بهذه العناصر يوجد الشيء ومن غيرها ينعدم ويزول.

- حقيقة الشيء وجوهره

- ماهية الشيء

- الذات الفردي والذات الجماعية

- تعريف الشيء وحدّه

ويُعرّف "حس حنفي" الهوية[73] انطلاقا من اللفظة واشتقاقها اللغوي وما يعادها في الحرف اللاتيني ويربطها بالانا وبمعناها لدى الفلاسفة قائلا:

"الهوية من الضمير "هو" يتحول إلى اسم. ومعناه أن يكون الشخص هوهو. هو اسم إشارة يحيل إلى الآخر، وليس إلى الأنا. وهو ما يعادل الحرف اللاتيني Id. ومنها اشتق أيضاً لفظ Identity. أما لفظ الإنية فهو يعادل الحرف اللاتيني Ipse ومنها اشتق Ipseity. وبالتالي تمنع كل أنانية وخصوصية لأن الهوية تثبت الآخر قبل أن تثبت الأنا. لا تشتق الهوية من

[73]مفكر وفيلسوف مصري معاصر له مشروع فكري معروف "بالتراث والتجديد ."

ضمير المتكلم المفرد "الأنا" إلا بمعنى الأنانية في مقابل الغيرية. أما لفظ "الإنية" فأنه مشتق من "إن" حرف توكيد ونصب. ومعناه أن يتأكد وجود الشيء وماهيته من خلال التعريف.

ويماثل لفظ "الهوية" لفظ "الماهية" عند الفلاسفة أي جوهر الشيء وحقيقته. الهوية تماثل بين الأنا والهو في حين أن الماهية تماثل بين الشيء ونفسه. وهو أيضاً لفظ مشتق من أداة الاستفهام "ما"، وضمير الغائب المؤنث "هي". يستعمل في التعريف في حين أن لفظ "الهوية" يُستعمل في الوجود. أما لفظ "جوهر" فهو صورة فنية من المعادن الثمينة ويعني اللب والحقيقة أغلى ما في الشيء".[74]

ب- المعنى الاصطلاحي:

لا يوجد تعريف متفق عليه لدى الفلاسفة والمفكرين وعلماء السياسة والاجتماع وغيرهم للهوية، بل توجد تعاريف مختلفة باختلاف مجالات المعرفية الإنسانية والاجتماعية، معناها يتغير من مجال معرفي إلى مجال معرفي آخر، من علم النفس إلى المنطق إلى علم الاجتماع إلى علم السياسة إلى غير ذلك من التخصصات الواسعة أو الضيقة التي تتناول موضوع الهوية بالبحث والدراسة.

- في المنطق الأرسطي الهوية أو الذاتية قانون يحكم الفكر والتفكير ويجنّبه الوقوع في الخطأ والتناقض خلال عملياته الاستدلالية، مؤداه ومفاده أنّ الشيء هو هو ثابت لا يتبدل ولا يتحول من هو إلى ليس هو، فلا يكون الشيء هو وليس هو في الوقت نفسه، إمّا الشيء هو أو لا هو.

- في علم النفس ترتبط الهوية بالشخصية التي تتحدد بجانبين أساسيين، جانب يتميز بالكثرة والتغير ويخص مكونات الشخصية البيولوجية والنفسية والاجتماعية وكل ما هو قابل للزيادة والنقصان وقابل للتغير والاندثار، وجانب يتميّز بالوحدة والثبات ويخص الأنا أو الذات الواحدة الثابتة التي تبقى هي هي لا تتغير ولا تزول، فالذات أو الأنا تمثل هوية الشخص وذاتيته.

---

[74] حسن حنفي: مقال عنوانه: **الهوية واللغة في الوطن**، رابطه في موقع التجديد العربي http://www.arabrenewal.info/2010-06-11 :

ففي الشخصية تجتمع الوحدة مع الكثرة والتغير مع الثبات من غير تناقض، بمعنى أنا أو ذات واحدة ثابتة تعيش التغير والكثرة في الأحوال والصفات.

- في الفلسفة تعني الهوية الماهية أي جوهر الشيء وحقيقته، ومنه جاء التعريف المنطقي في الفلسفة القديمة للحدود بالماهية لا بالعرض وبالحد التام لا بالحد الناقص وبالجنس القريب والفاصلة النوعية.

ويختلف معنى الهوية من فلسفة إلى أخرى ومن فيلسوف إلى آخر ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى، يختلف باختلاف الأنساق الفلسفية والفكرية والإيديولوجية ويكون تابعا للسياقات التاريخية التي عرفها الفكر عند الإنسان وعرفتها حياته.

- في علم الاجتماع ترتبط الهوية بالمجتمع وتتحدد به وهي ظاهرة اجتماعية تحدد ماهية المجتمع من حيث هو تركيبة بشرية مكوناتها كثيرة متداخلة ومتشابكة، تركيبة متطورة باستمرار، فيها الثابت وفيها المتحول، وهوية المجتمع وهوية الفرد جزء منه تتحدد بالعناصر الاجتماعية الثابتة في المجتمع والتي لا يوجد المجتمع من دونها، وهي عناصر اجتماعية بحتة وسياسية واقتصادية وثقافية ودينية وتربوية وغيرها، فالجانب الثابت الدائم الواحد الذي لا يتغير بتغير الأوضاع والظروف في الفرد وفي المجتمع وفي الطبيعة ومن دونه لا يقوم مجتمع ما وينهار بانهيار هذا الجانب هو هوية هذا المجتمع، مثل الإسلام في المجتمع الإسلامي، واللغة العربية في المجتمع العربي، واليهودية في المجتمع اليهودي واللغة الهندية في المجتمع الهندي، ويختلف المقوم الذي يحدد هوية المجتمع من مجتمع إلى آخر دينيا كان أو عرقيا أو طائفيا أو غيره.

- في السياسة و الإيديولوجيا يختلف مفهوم الهوية من اتجاه إلى آخر وما أكثر الاتجاهات السياسية والأيديولوجية، وبالتالي تتعدد وتتنوع الهويات بحسب مقوماتها التي هي مقومات الأمة، فتتعدد الهويات وتتباين بتعدد وتباين اللغات والثقافات والجغرافيا والتاريخ والأديان والأعراق والأوطان ووحدة الماضي والمصير المشترك وغيره، قد تتحدد الهوية بمقّوم واحد وقد تتحدد بأكثر من مقّوم، فالأمة الإسلامية هويتها تقوم على الدين الإسلامي وداخل الأمة

الإسلامية توجد هويات كثيرة مثل الهوية السنية والهوية الشيعية والهوية الكردية والهوية التركمانية والهوية الأمازيغية وغيرها، ففي الغرب تتحدد الهوية بالوطن واللغة فعرفت أوربا الهوية الفرنسية والهوية الإنجليزية والهوية الإسبانية والهوية الألمانية وغيرها.

يتضح مما سبق بالنسبة لمفهوم الهوية اصطلاحا لا يمكن حصره في جانب ما كما لاحظنا تناولها من طرف الفلاسفة وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية، لكن المتفق عليه أنّ الهوية تعبر عن حقيقة الشيء وماهيته سواء على المستوى فكري والمنطقي قانون الذاتية أو على المستوى الفلسفي ماهية الشيء وحقيقته أو على المستوى الفردي والشخصي وحدة الأنا والشعور وثباته أو على مستوى المجتمع الأنا الجمعي أو على مستوى الإيديولوجيات المقّوم الذي تثق فيه الإيديولوجيا وتؤسس عليه هويتها مثل اللغة والعرق والدين والأرض وغيرها.

ثالثا - العولمة:

أ- الاشتقاق اللغوي:

- لا نجد تعريفا دقيقا ونهائيا في قواميس ومعاجم اللغة العربية لكلمة عولمة، بل ارتبط اللفظ بالفعل وليس بمصدر اسمي، "العولمة لغة لفظ مشتق من الفعل عولم على وزن فوعل، أو أّنه مشتق من الصيغة الصرفية فوعلة، التي تدل على تحول الشيء إلى صورة أخرى، كما أّنه مصطلح يصعب فيه الارتكان إلى المدلولات اللغوية، فهو مفهوم شمولي يذهب عميقا في الاتجاهات المختلفة لتوصيف حركة التغير المتواصلة".[75]

- في الكثير من الكتابات نجد لفظ عولمة يشير إلى لفظ Globalization المشتق من لفظ "كوكب" في اللغة الإنجليزية لذلك تُترجم كلمة عولمة إلى كوكبة أو كوكبية أو كونية. ويشير لفظ عولمة إلى Mondialisation من لفظ Monde بالفرنسية أي العالم. وتمثل العولمة أو الكوكبة أو الكونية أبرز تحول تأثر به عصرنا وتميّز.

- يتضح مما سبق أنّ لفظ عولمة في اللغة العربية جاء من فعل عولم على وزن فوعل بمعنى حوّل الشيء إلى صورة غير الصورة التي كان عليها، وقد يكون لفظ عولمة مشتقا من الصيغة

[75] الزبادي محمد فتح الله: **العولمة وآثارها على العالم الإسلامي** ،منظمة المؤتمر الإسلامي، قطر، سنة 2003، الدورة الرابعة عشر، ص 2

الصرفية فوعلة، كما يشير اللفظ إلى اللفظ اللاتيني في الإنجليزية بمعنى الكوكبة وفي الفرنسية بمعنى العالمية من العالم.

ب- المعنى الاصطلاحي:

- لا يوجد تعريف واحد متفق عليه من قبل المفكرين والباحثين والأكاديميين للعولمة كحركة إنسانية وكظاهرة تمثل أبرز وأهم تحول تمّيز به عصرنا وأكبر تحدّ يواجه الأمم والشعوب والدول في العالم الضعيف والمتخلف. وارتبط مفهوم العولمة في الفكر عامة وفي الحياة المعاصرة برمتها بالتطور العلمي والتكنولوجي الهائل الذي مّيز العصرين الحديث والراهن.

- تعددت واختلفت تعاريف العولمة بتعدد واختلاف الاتجاهات الفكرية والإيديولوجية والسياسية والفلسفية وتباينت بحسب مواقف هذه الاتجاهات وبحسب مواقف المثقفين منها، بين مواقف مؤيدة بإطلاق أو جزئيا وأخرى مناهضة بإطلاق أو جزئيا، لكن المتفق عليه هو أنّ العولمة حركة ومسعى إنساني عام يستهدف "تعميم نمط حضاري وإيديولوجي وثقافي واقتصادي وسياسي واحد على كافة شعوب العالم".[76]

- ويُعرّفها آخر "العولمة جعل الشيء أيّا كان هذا الشيء عالميا، أو إكسابه صفة العالمية، وهو المعنى الذي أجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة".[77]

ويُعرّفها المفكر الفرنسي المسلم "روجيه غارودي" بما يلي: "هي نظام يُمكّن الأقوياء من فرض الديكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق". [78]

- لقد كرّست العولمة التصنيف الثنائي للبلدان والشعوب في العالم المعروف بالمركز والأطراف، المركز هو قائد العولمة ومديرها والفعّال في تحريكها وتوجيهها، والأطراف وهي الشعوب والبلدان المنفعلة والمتأثرة بالعولمة سلبا أو إيجابا، وسيطرت العولمة بزيادة درجة التواصل والارتباط المتبادل بين الأفراد والشعوب والأمم نتيجة تطور وسائل التواصل الاجتماعية والشبكة

---

[76] جيلالي بوبكر: **العولمة مظاهرها وتداعياتها، نقد وتقييم**،ط 1 ،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، سنة 2011، ص 5.
[77] بكار عبد الكرم: **العولمة، طبيعتهاوسائلها،تحدياتها**،ط 1 ،دار الإعلام للنشر والتوزيع، سنة 2000، ص 11
[78] نقلا عن بن سهو محمد:**العولمة**، دار البيارق، عمان، الأردن، بدون طبعة، سنة 1998، ص 14 .

العنكبوتية والمعلوماتية، ومن خلال تطور نشاطات انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج وانتقال السلع والأشخاص والمعلومات.

-ويُعرّف العولمة "ريمون طحان" في كتابه "اللغة العربية وتحديات العصر" بما يلي: "اصطباغ عالم الأرض بصبغة واحدة شاملة لجميع أقوامها وكل من يعيش فيها وتوحيد أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية الفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان و الثقافات والجنسيات والأعراف". [79]

- بما أنّ العولمة اتجاه شامل يعمل على فرض نمط حياة واحد وأوحد على كافة شعوب العالم من غير استثناء وفي هذا نفي لسنتي الخصوصية والاختلاف في الكون لذا يُعرّفها أحد الباحثين: "نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية، على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقّيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم".[80]

- في سياق التعدد والتباين في تحديد مفهوم العولمة وبيان قيمتها نظرا لطبيعتها المركبة، وبعدما وقفنا على بعض المفاهيم والمواقف تصفها وتحدد طبيعتها، يمكننا استنتاج ما يلي: "بأّنها توجه ثقافي وسياسي واقتصادي واجتماعي وإعلامي وعسكري، يستمد مفاهيمه ومبادئه ومقولاته من الفكر الليبرالي الغربي ومن الثقافة الحديثة والمعاصرة السائدة في الغرب الأوربي وفي الولايات المتحدة الأمريكية، التوجه القائم على الديمقراطية واقتصاد السوق، والمتضمن جملة الآليات والإجراءات والتدابير والنظم العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية والإعلامية وغيرها، وسائر أشكال المعاملات والعلاقات وأنماط السلوك والعيش والحياة عامة، كل هذا يشكل منظومة واحدة تتجاوز حدود الجهوية الضيقة ، وحدود الدولة الوطنية والقومية، والحدود الإقليمية وسائر الحدود الجغرافية والسياسية المتعارف عليها ...فهي تبحث عن الاتحاد وتتبنى التشابه والتماثل بين البشر لتعميم النموذج أو النمط الأمريكي الواحد في الحياة وتمثله المنظومة

---

[79] ريمون طحان: **اللغة العربية وتحديات العصر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، بدون طبعة، وبدون سنة، ص 37.
[80] سليمان نايف:**الجامع في اللغة العربية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، بدون طبعة، سنة 1996، ص 41

الواحدة، من منطلق سياسة عالمية تربط كل بلدان العالم في كوكبة واحدة خاضعة لنظام واحد يسيطر عليه المركز وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية".[81]

استنتاج الترابط و التناقض بين المفاهيم

الترابط :تترابط المفاهيم المذكورة فيما بينها في عدة نقاط أهمها:

-اللغة تعبر عن نفسها وعن الهوية بشقيها اللغوية والثقافية.

- اللغة تعبّر عن العولمة بشقيها اللغوية والثقافية وهو الدور المنوط باللغة الإنجليزية في العولمة المعاصرة.

-اللغة تنتج الهوية جزئيا أو كليا.

-الهوية قد تكون لغوية وقد تكون ثقافية وقد تكون هما معا.

-العولمة لها هويتها ولها لغتها.

-هوية العولمة تتحدد بما هو لغوي وبما هو ثقافي.

-لا تقوم العولمة من غير هوية ومن غير لغة.

-لا تقوم اللغة من غير هوية.

-لا تقوم الهوية من غير لغة.

التعارض: تتعارض المفاهيم المذكورة في عدة نقاط أهمها ما يلي:

-الهوية واللغة تعترضان على العولمة لكون العولمة لغوية كانت أو ثقافية تقصي اللغة والهوية، وتعطل التعدد والاختلاف في الهويات والألسن وبذلك فهي تعطل سنن الكون.

[81] جيلالي بوبكر: **العولمة مظاهرها وتداعياتها، نقد وتقييم**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2011، ص 16

-تعترض العولمة على اللغة والهوية لكونهما يفرضان الخصوصية التي تمنع انصهارهما وانتشار العولمة .

-الهوية لغوية كانت أو ثقافية قد تنتهي إلى الانغلاق والتقوقع أمام انفتاح العولمة، ولا تسمح لأصحابها بالمشاركة في تحريك التاريخ وتحقيق البناء الحضاري.

-الثنائية أو الثلاثية اللغوية كثيرا ما تضر بتماسك المجتمع وتضر بهويته التاريخية والثقافية، فينتهي الأمر إلى الذوبان.

التداخل- : تتداخل المفاهيم المذكورة مع بعضها البعض في عدة نقاط أهمها:

-الهوية تلازم اللغة والعولمة بصورة دائمة، للغة هوية وللعولمة هوية ولا قيام لإحداهما من غير هوية.

-اللغة تدل وتعبر عن الهوية والعولمة، كما تعبر عن نفسها، ولا تقوم أية هوية وأية عولمة من دون لغة، طبعا لغة واحدة أو أكثر

- العولمة حقيقة ثابتة وتحدّ قائم في الواقع تتعاطى معه اللغة والهوية مدا وجزرا إيجابا وسلبا.

خلاصة:

جدل المفاهيم أو معركة المفاهيم الثلاثة وما انبثق عنها من مفاهيم أخرى لها دورها في النسيج المفاهيمي والثقافي في ظل العولمة، تتحدد طبيعته ويتحدد دوره وتأثيره السلبي أو الإيجابي بحسب تدخل الإنسان بجميع أبعاده من غير استثناء، فالأمر يتوقف بالدرجة الأولى على تفكير الإنسان وإرادته واختياراته وأخلاقه في إنتاج مواقفه من اللغة والعولمة والهوية.

VIII. المشكلات الانثروبولوجية المعاصرة

في حقبة استقلال البلدان الأفريقية، كان كل شيء يوحي بأن الأنثروبولوجيا سوف تقع ضحية المؤامرة التي حاكتها ضدها الشعوب التي تعارضها في ظل تواري شعوب أخرى. **فما هي أهداف هذا العلم في السياق العالمي الجديد؟** أجاب ليفي ستروس على هذا السؤال في "رسالة اليونسكو" نوفمبر/تشرين الثاني 1961.

تحتل الأنثروبولوجيا في الفكر الحديث موقعاً قد تبدو أهميته على شيء من التناقض. فهي تمثل علماً **مطابقاً لذوق العصر**، كما يشهد عليه رواج أفلام وروايات الرحلات، وإنما أيضاً حب اطلاع الجمهور المثقف على كتب علم الإنسان. في أواخر القرن التاسع عشر، كنا نتوجه أولاً إلى علماء البيولوجيا طلباً لفلسفة تعنى بالإنسان والعالم؛ ثم التفتنا نحو علماء الاجتماع والمؤرخين وحتى الفلاسفة. لكن الأنثروبولوجيا بدأت تقترب أكثر فأكثر من هذا الدور **منذ بضعة أعوام**، وبتنا ننتظر منها أيضاً الاستنتاجات والأجوبة الكبرى، علاوة على الأسباب التي تحثنا على العيش والأمل.

يبدو أن الحركة انطلقت في الولايات المتحدة، هذا البلد الفتي الذي يواجه مهمة إنتاج مذهب علمي **على مقاسه**. يُعنى بتنمية مناقب الإنسان وفكره ويتخذ من الإنسان في حياته الواقعية موضوعاً له، دون التقيد بتاتاً بالإجلال للحضارتين اليونانية والرومانية حصراً بحجة أنه في أوروبا العجوز، عندما بدا الإنسان – خلال عصر النهضة – بمثابة موضوع الدراسة الأكثر ملاءمة وإلحاحاً، كنا نملك معلومات وافية عن هاتين الحضارتين دون سواهما. لكن في القرن التاسع عشر، وفي القرن العشرين أكثر بعد، **أصبح من السهل بلوغ مجمل المجتمعات البشرية تقريباً**. وعلى هذا الأساس، لم تعد هناك من حاجة للتقيد بحضارتين فقط. وعندما ندّعي التبصر في الإنسان في كليته، يستحيل إهمال أمراً مزدوجاً، وهو أن البشرية، خلال 99% من مدة دوامها على الكوكب، وعلى أكبر مساحة من الأراضي المأهولة، لم تعرف حتى الآن أنواعاً من الحياة والمعتقدات والمؤسسات إلا تلك التي يتحتم على علماء الأنثروبولوجيا دراستها.كما أن الحرب العالمية الأخيرة عززت هذا التوجه. وبغتة، منحت استراتيجية عالمية

النطاق وجوداً وواقعاً للمناطق الأكثر عزلة على وجه كوكبنا، تلك المناطق عينها التي وجدت فيها الشعوب "البدائية" ملاذاً: **مناطق "الشمال الأمريكي الكبير"، غينيا الجديدة، داخل مناطق آسيا الجنوبية الشرقية والجزر الأندونيسية.**

لقد تقلص العالم

منذ ذلك الحين، ظلت أسماء محمَّلة بالأسرار والغرابة مسجلة على الخريطة، لتشير فقط إلى نقاط عبور الرحلات الجوية الطويلة. وفي موازاة تطور علم الطيران، كانت المسافات تقصر وكوكبنا الأرضي ينكمش أكثر، فيما قواعد الصحة العامة تثمر عن نتائج عديدة، وفي طليعتها ازدياد عدد السكان على نحو لافت، إلى جانب تكاثف عمليات التبادل والاتصال على المستوى النفسي والأخلاقي.في هذه الأرض التي أصبحت "**أكثر صغراً**"، والتي ينشط فيها عدد **متزايد دوماً من السكان**، لم يبق جزء من البشرية، مهما كان بعيداً عنا جغرافياً و"متأخراً" في نظرنا، **إلا وكان على اتصال مباشر أو غير مباشر بجميع البشر الآخرين**، علماً أن لأحاسيسه وطموحاته وأمنياته ومخاوفه علاقة مباشرة أيضاً، على صعيد الأمن والازدهار والوجود، بأحاسيس وطموحات وأمنيات ومخاوف سائر السكان الذين يبدو أن التطور المادي **أنعم عليهم بنوع من السلطة المقدسة.**

وفي عالمنا المحدود هذا، يبدو إذاً أن رواج الأنثروبولوجيا – **مذهب الأنسية الذي لا يعرف قيوداً ولا حدوداً** – يشكل النتيجة الطبيعية لمصادفات موضوعية. وحتى لو أردنا ذلك، فنحن ما عدنا نملك حرية تجاهل آخر صيادي البشر ("صيادي الرؤوس") مثلاً في غينيا الجديدة لأن هؤلاء، ببساطة، يبدون اهتماماً بنا. وكنتيجة غير متوقعة لجهودنا وتصرفنا إزاءهم، أصبحنا نشكل معاً جزءاً من العالم نفسه، وعما قريب، من الحضارة نفسها.

لا ريب أن التأملات البشرية المعقدة تؤدي في النهاية، بعد عملية متطورة من اللف والدوران، **إلى تداخل الأفكار الأكثر تباعداً والعادات المتشعبة منذ آلاف السنين.** فمن خلال الانتشار في مجمل بقاع الأرض، تتأثر الحضارات التي كانت تعتبر نفسها الأسمى – عن خطأ أو عن صواب – أي الحضارة المسيحية والإسلامية والبوذية، وعلى مستوى آخر، الحضارة الميكانيكية

الجامعة بينها، بأساليب الحياة وأنماط الفكر والفعل ذاتها التي تشكل موضوع دراسة الأنثروبولوجيا، والتي تحدث عليها تحولاً من الداخل دون أن نعي ذلك بوضوح. إذ أن الشعوب المسماة بـ"البدائية" أو "القديمة" لا تفنى أو تقع في العدم، وإنما تنحل وتذوب عن طريق الاندماج، على نحو سريع نسبياً، ضمن الحضارة المحيطة بها. وفي الوقت ذاته، تكتسب هذه الأخيرة طابعاً عالمياً.

الأنثروبولوجيا: علم بدون موضوع؟

هذا يعني أن الشعوب "البدائية" لا تفقد أهميتها في نظرنا تدريجياً، بل على العكس، لأن العلاقة التي تربطنا بها تتوطد يوماً بعد آخر. ولنأخذ مثلاً على ذلك: فتلك الحضارة العظمى التي يزهو بها الغرب بحق، والتي أخصبت الأرض المأهولة، تولد ثانية انطلاقاً من خليط "كريولي"[82]. كما أنها تستوعب أثناء انتشارها عناصر أخلاقية ومادية كانت غريبة عنها، وبات عليها أن تأخذها في الحسبان. ومن هذا المنطلق، **ما عادت المشاكل الأنثروبولوجية تنتمي إلى حقل اختصاص واحد، أو تُحفظ للعلماء والمستكشفين، بل أصبحت على نحو مباشر وفوري قضية جميع المواطنين** فإلى ماذا يُعزى التناقض المذكور أعلاه؟ [...] طالما أن علمنا حدد لنفسه بشكل رئيسي دراسة الشعوب "البدائية" – يمكننا أن نتساءل عما إذا كانت الأنثروبولوجيا، في الوقت الذي يعترف الرأي العام بقيمتها، على وشك أن تصبح علماً من دون موضوع. **لأن هذه التحولات نفسها التي تغذي اهتمامنا المتزايد على الصعيد النظري بـ"البدائيين" تسبب انقراضهم عملياً**. ولا شك أن هذه الظاهرة ليست بالجديدة. فلقد سبق للعالم فرايزر[83] أن أشار إليها بعبارات مأسوية عند تدشين كرسي الأستاذية في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية، عام 1908، وكان يتوجه بكلامه حينئذٍ إلى الحكومات والعلماء. ومع ذلك، فلقد

---

[82] يطلق مصطلح الكريول هو ومشتقاته في اللغات الأخرى — مثل criolo و criollo و creolo و créole و kriolu و criol و kreyol و kreol و kriulo و kriol و krio إلخ. — على أناس في مختلف البلدان والحقب، بمعانٍ مختلفة بعض الشيء. وغالبًا ما تستخدم هذه الألفاظ في المستعمرات أو في الأماكن التي كانت مستعمرات واقعة في قارة أخرى، وتشير في الأصل إلى الأشخاص المولودين محليًا من آباء أجانب

[83] جيمس جورج فريزر James George Frazer : 1854- 1941. عالم انثروبولوجيا إسكوتلندي كبير. ألف كتابه المشهور والضخم " الغصن الذهبي (The Golden Bough) " وهو عباره عن دراسة في السحر والدين (1890).

كان تواتر الأحداث قبل نصف قرن أبطأ بكثير مما هو عليه اليوم، والأحداث لا تني تتسارع منذ تلك الفترة.

تشكل القوانين العامة المتعلقة بتنمية المجتمع والثقافة، وحتى حدود علم السلالات (الأنثروبولوجيا) كعلم، [...]موضوعاً خلافياً. لكن الطريقة التي يعالج فيها ليفي ستروس هذه المشاكل وغيرها [...] تعاني من إفراط في التمسك بالقواعد الشكلية، وهو أمر ملازم للأسلوب البنيوي، الذي يُعد حالياً التيار المفضل في الأوساط العلمية، علماً أن ليفي ستروس يُعد أبرز ممثل له.

ولنتوقف عند بعض الأمثلة. لقد تناقص عدد السكان الأصليين الأستراليين من 000 250 نسمة في بداية حقبة الاستعمار إلى 000 40 نسمة تقريباً. ويرد وصف بشأنهم في التقارير الرسمية على أنهم "مزروبون"تارةً لدى البعثات الدينية التبشيرية، وفي جوار المنشآت المنجمية تارة أخرى، وقد تحولوا – عوضاً عن جمع ولّم المنتجات البرية – إلى نهب القمامة عند أبواب المخيمات. وهم يُطردون طوراً من الصحارى القاحلة التي كانت تشكل مأوى لهم بعد نصب قواعد للتفجيرات الذرية وإطلاق الصواريخ.

وما زالت غينيا الجديدة التي تتمتع بحماية محيط طبيعي عدائي، تبدو بسكانها الأصليين الذين يبلغ عددهم بضعة ملايين، آخر ملاذ للمؤسسات البدائية. بيد أن الحضارة دخلت إليها بسرعة كبيرة إلى درجة أن سكان جبال المنطقة الوسطى، وعددهم 000 600 نسمة، يقدّمون من الآن حصتهم من العاملين لبناء الطرق، وكانوا مجهولين منا تماماً قبل عشرين عاماً. وباتت الطائرات في المنطقة تنزل بالمظلات عواميد الدلالة وعلامة المسافات فوق الغابات المجهولة، وحتى اليد العاملة التي يجري اختيارها ميدانياً، ويتم نقلها جواً إلى المناجم والمزارع الساحلية. وفي الوقت ذاته، تستقر في هذه المناطق الأمراض المستوردة بكل قوتها المدمرة، والتي لم يكتسب السكان الأصليون بعد أي مناعة لمقاومتها: السل، الملاريا، التراخوما، الجذام، الديسنتاريا، حرقة البول، الزُهري، أو عواقب مرض غامض ناتج عن حضارة كانت سبباً في إيقاظه دون إشاعته: الكورو، وهو انحلال وراثي مميت لم يُعرف له علاج بعد.

في البرازيل، تعرضت مائة قبيلة للفناء بين عام 1900 و1950. وتناقص أعضاء جماعة "كاينغانغ" في ولاية ساو باولو من 200 1 نسمة عام 1912 إلى 200 عام 1916، وقد بات عددهم يبلغ 80 نسمة اليوم. كما تراجع عدد أفراد جماعة "موندوروكو" من 000 20 في عام 1875 إلى 200 1 في عام 1950. ومن جماعة "نامبيكوارا" – 000 10 في عام 1900 – لم أعثر سوى على ألف نسمة في عام 1940. أما جماعة "كايابو" بجوار نهر أراغوايا، فلقد تناقص عدد أعضائها من 500 2 في عام 1902 إلى 10 أشخاص في عام 1950، وعدد أفراد جماعة "تيمبيرا"، من 000 1 نسمة في عام 1900 إلى 40 في عام 1950...

كيف يمكن تفسير سرعة هذا الانهيار؟ أولاً، من خلال استيراد الأمراض الغربية التي لا تتمتع بنية السكان الأصليين بأي مقاومة ضدها. وسأكتفي بذكر مصير جماعة من سكان المنطقة الشمالية الشرقية في البرازيل، وتدعى "أوروبو". فبعد أعوام قليلة على اكتشافها، أصيب أعضاء هذه الجماعة بداء الحصبة في عام 1950. ومن أصل 750 نسمة، توفي في غضون أيام قليلة 160 شخصاً. وقد وصف شاهد عيان الوضع بالعبارات التالية:

"كانت القرية الأولى مقفرة، بعدما هرب جميع سكانها وكانوا واثقين من أن المرض كائن فوق طبيعي يهاجم القرى ويمكن الإفلات منه بالفرار بعيداً جداً. وقد عثرنا عليهم في الغابة حيث كانوا يقيمون بشكل مؤقت هرباً من "الشر" الذي وقعوا ضحايا له دون أن يعلموا، إذ أصيبوا جميعاً تقريباً بالمرض. كانوا منهكين ويرتجفون من جراء الحّمى، والأمطار متساقطة. وبفعل المضاعفات الرئوية والمعوية، أصبحت صحتهم متلفة إلى درجة ما عادت لهم فيها من قوة للبحث عن غذاء. حتى أن المياه كانت تنقصهم. فماتوا جوعاً وعطشاً ومن عواقب المرض أيضاً.

وكان الأطفال يزحفون على الأرض سعياً للحفاظ على النار مشتعلة، تحت المطر، بحثاً عن بعض الدفء. والرجال ألهبتهم الحّمى، فكانوا وكأنما أصيبوا بالشلل. والنساء لا يعين ما يفعلن ويبعدن عن أثدائهن الأطفال الذين يحاولون الرضاعة."

عندما يكون الساكن الأصلي مرادفاً للساكن المعوز

في عام 1954 ، أدّى إنشاء بعثة دينية تبشيرية على ضفاف نهر "غوابوري" عند الحدود بين البرازيل وبوليفيا بأربع قبائل مختلفة إلى الانضمام إليها. وأقام في هذا المكان، لبضعة أشهر، 400 شخص أبيدوا جميعاً جراء داء الحصبة بعد فترة قليلة... وعلاوة على الأمراض المعدية، لعبت أمراض العوز دوراً في هذه الإبادة: من الاضطرابات الحركية، إلى الجراح في العينين، وتسوس الأسنان. فلقد كانت هذه العوارض مجهولة عندما كان السكان الأصليون يعيشون تبعاً لأساليبهم القديمة، وظهرت عندما استقروا في القرى وأرغِموا على نظام غذائي مختلف عن نظام الغابة.

في تلك الفترة، أصبحت وسائل العلاج التي اختبرها السكان عبر الزمن، كمعالجة الجراح البالغة بواسطة لصقات من فحم الخشب، غير مجدية. واشتدت حدة الأمراض العادية إلى درجة أنه في حالات الإصابة بالديدان، مثلاً، كانت الديدان تخرج من فم وأنف الأطفال.

وثمة نتائج أخرى نجمت عن هذا الوضع، وإن كانت غير مباشرة، كانهيار نمط الحياة والتنظيم الاجتماعي. إذ كانت جماعة "كاينغانغ" في ساو باولو – المذكورة أعلاه – تتبع قواعد اجتماعية يعرفها علماء الاثنولوجيا جيداً: وكان قوام كل قرية مقسَّماً إلى مجموعتين تخضعان لقاعدة محددة تقضي بأن يتزوج رجال المجموعة الأولى امرأة من المجموعة الثانية وبالعكس.

لكن ما أن ينخفض عدد السكان، وما أن تنهار القاعدة الديمغرافية، لا يعود هذا النظام الصارم يتيح لكل رجل أن يجد زوجة له. وبالتالي، يُحكم على عدد كبير من هؤلاء بالعزوبة؛ إلا إذا انقادوا لما يبدو لهم ارتكاباً للمحارم –شرط أن يبقى الاقتران عقيماً دون أطفال. وفي مثل هذه الحال، قد يتوفى السكان كلهم في غضون بضعة أعوام. [لقد استقينا هذه المعلومات بشأن تواري هنود البرازيل، في معظمها، من عمل عالم الاثنولوجيا البرازيلي البارز، الدكتور دارسي ريبايرو، ساو باولو، 1956].

وبناء عليه، كيف لنا أن نصاب بالحيرة أمام الصعوبة المتزايدة ليس فقط أمام دراسة السكان "البدائيين"، وإنما أيضاً أمام تقديم تعريف شافٍ للعقل؟ فعلى مرّ الأعوام القليلة الماضية، اجتهدت التشريعات الحمائية المنفذة في البلدان التي تواجه هذه المشكلة، في مراجعة المفاهيم المُجازة. لكن في مثل هذا الإطار، ما عاد بالإمكان صون اللغة والثقافة وإحساس الجماعة بذاتها. وكما تشدد عليه تحقيقات مكتب العمل الدولي، بدأ مفهوم "الساكن الأصلي" يتلاشى ليحلّ محله مفهوم "الساكن المعوز" [مكتب العمل الدولي، الشعوب الأصلية، جنيف 1953.]

شعوب ترفض أن تكون موضع تحقيق

على أن هذه الصورة لا تكشف لنا سوى جزء من الواقع. ففي مناطق أخرى من العالم، ثمة شعوب تشكل منذ زمن طويل موضوع دراسات علم الإنسان، ويبلغ قوامها عشرات، لا بل مئات الملايين من السكان. وهي لا تني تتزايد عدداً. تلك هي الحال في مناطق أمريكا الوسطى والأنديز وآسيا الجنوبية الشرقية وأفريقيا. وإذا كان علم الإنسان يواجه تهديدات من نوع آخر في هذه المناطق، فإن مواقف الأنثروبولوجيا لا تقل هشاشة هنا عما سبق أن ذكرناه أعلاه. لكن هذا الخطر نوعي وليس كمياً، وهو قائم من عدة نواحٍ. فمن الناحية الموضوعية مثلاً، يشهد هؤلاء السكان تحولات وحضاراتهم تقترب أكثر فأكثر من حضارة الغرب التي اعتبرتها الأنثروبولوجيا لفترة طويلة غريبة عن نطاق اختصاصها. ومن الناحية الذاتية بالأخص، إنها شعوب تبدي حساسية متزايدة حيال التحقيقات الإتنية التي تخضع لها. حتى أنه سُجلت حالات تغيرت فيها أسماء المتاحف الإقليمية المسماة بـ "الجغرافية الاثنية" إلى "متاحف الفنون والتقاليد الشعبية."

لا شك أن المؤسسات الجامعية في الدول الشابة التي حققت الاستقلال حديثاً تبدي ترحيباً حاراً بعلماء الاقتصاد والنفس والاجتماع. ولا يسعنا القول إن هذا الأمر ينطبق على علماء الأنثروبولوجيا. فجميع العوامل تشير إلى أن الأنثروبولوجيا وكأنها على وشك أن تقع ضحية مؤامرة حاكتها شعوب ترفضها رفضاً جسدياً – من خلال الاختفاء عن وجه الأرض – في

حين أن شعوباً أخرى حيّة، نابضة بالحياة وتعرف نمواً ديمغرافياً كبيراً، تقاومها على المستوى النفسي والأخلاقي.

ومواجهة الخطر الأول لا تثير مشكلة. إذ يجب استعجال البحوث واغتنام الأعوام الأخيرة المتبقية **لاستقاء المعلومات التي تكتسي هنا قيمة إضافية لكون العلوم الاجتماعية والإنسانية، بخلاف العلوم الطبيعية، غير قادرة على إثبات تجاربها.**

يشكل كل نموذج اجتماعي، وكل معتقد ومؤسسة، وكل أسلوب للحياة، تجربة قائمة بذاتها وثمرة لتاريخ يرقى إلى آلاف السنين. وبهذا المعنى، فإنها تجربة لا يمكن الاستعاضة عنها. ومع تواري الشعب الذي يجسدها، يُغلق باب للمعرفة بشكل نهائي، مما يمنع متتبعيها الوصول إلى معارف يُتعذر اكتسابها بطريقة أخرى[...]

والخطر الثاني أقل جسامة في المطلق، لأنه يتعلق بحضارات لا تواجه أي تهديد مادي؛ لكن التصدي له بفعالية في الظرف الراهن يبقى أكثر صعوبة بكثير. فهل يكفي بالفعل تبديد حذر ومخاوف الشعوب التي كانت منذورة في الماضي لمراقبة علماء الأنثروبولوجيا من خلال إرساء مبدأ قائل إن تحقيقاتنا، من الآن فصاعداً، لن تنفذ في اتجاه واحد؟ وهل أن علمنا سيستعيد أسسه واعتباره لو قدم إلينا علماء الأثنولوجيا من أفريقيا وميلانيزيا لإجراء البحوث التي كنا وحدنا نجريها لديهم في الماضي، لقاء صون الحرية التي كانت لنا؟

هذه المعاملة بالمثل مُستحبة لأنها تصب أولاً في مصلحة علمنا الذي، من خلال تعدد الآفاق، سيكون قادراً على تحقيق إنجازات جديدة. لكن علينا ألا نستسلم للأوهام. فهذه المعاملة بالمثل لن تحل المشكلة لأن الحل المقترح لا يأخذ في الحسبان الدوافع العميقة والكامنة لرفض الأنثروبولوجيا من جانب الشعوب التي خضعت سابقاً للاستعمار. وما تخشاه هذه الشعوب فعلاً هو أن يُصار، تحت غطاء الرؤية الأنثروبولوجية للتاريخ الإنساني، إلى تمرير وضع لا يُطاق من عدم المساواة بوصفه تنوعاً مستحباً. وإن جاز التعبير بقلم عالم للأنثروبولوجيا يستبعد أي مفهوم ينتقص من قدر هؤلاء، حتى على صعيد المراقبة العلمية، فإن الغربيين لن يستطيعوا أبداً – إلا ربما في إطار لعبة صبيانية – الاضطلاع بدور "الشعوب البدائية" في

نظر الذين خضعوا لسيطرتهم في الماضي. فعندما كنا نخصص لهم هذا الدور، كانوا يجسدون في نظرنا واقعاً محدداً بوصفهم موضوع دراسة علمية أو موضوع سيطرة سياسية واقتصادية. ونحن الذين نجسد، في نظرهم، المسؤولين عن مصيرهم الحالي، نبدو حتماً كممثلين لهذا الماضي، ومن هنا صعوبة اعتماد موقف تأملي تجاهنا.

ومن المفارقة أيضاً أن العديد من علماء الأنثروبولوجيا، في سعيهم من دون شك لمراعاة هذه الشعوب، اعتمدوا نظرية التعددية (التي تؤكد على تنوع الثقافات الإنسانية وتعترض بالتالي على إمكانية تصنيف حضارات معينة بصفتها "متفوقة" على حضارات "أدنى" منها منزلة). وهؤلاء العلماء أنفسهم – ومن خلالهم الأنثروبولوجيا ككل– يواجهون اليوم اتهامات بنكران هذه الدونية لغاية محددة هي التستر عليها، وإذاً للإسهام مباشرة في بقائها.

الأنثروبولوجيا علم "الداخل"بعدما كان علم "الظاهر"

إذا كان للأنثروبولوجيا أن تصمد في العالم المعاصر، يجب ألا نخفي على أنفسنا أن هذا يعتمد على إحداث تحول أكثر عمقاً بكثير من مجرد توسيع دائرتها (المغلقة بإحكام حتى الآن) – والتي تقتصر على الصيغة الصبيانية التي نعرض من خلالها على الوافدين الجدد ألعابنا مقابل مواصلة اللعب بألعابهم. يجب على الأنثروبولوجيا أن تحدث تحولاً في طبيعتها بالذات، والاعتراف، بالفعل، بأن ثمة استحالة، من الناحية المنطقية والأخلاقية على حد سواء، للإبقاء على مواضيع الدراسة العلمية للمجتمعات مع التأكيد على أنها تمثل مواضيع جماعية، وأن تطالب، بناء عليه، بالحق في التغيير.

وبالنسبة للأنثروبولوجيا، ينطوي تحوّل موضوع الدراسة على تغير في الأهداف والأساليب. ويبدو هذا الأمر ممكناً، لحسن الحظ، في حال الاعتراف بفرادة اختصاصنا، بمعنى أنه لم يحدد نفسه يوماً في المطلق، وإنما في صلب العلاقة القائمة بين المُراقب وموضوع دراسته، وأنه كان في كل مرة يقبل بالتحوّل مع كل تطور جديد ضمن هذه العلاقة. لا ريب أن ما يميز الأنثروبولوجيا هو دراستها دوماً لما هو "ظاهر". لكنها لم تفعل ذلك إلا لكون الدراسة من "الداخل"أمراً مستحيلاً بالنسبة إليها.

ومن وجهة النظر هذه، تتبدى الثورة الكبرى في العالم الحديث، على مستوى العلوم الإنسانية، في أن حضارات كاملة باتت تتمتع بإحساس بالذات وقد اكتسبت – مع محو الأمية – الوسائل الضرورية لإحداث التغيير اللازم. فلقد شرعت هذه الحضارات، على غرار القارة الأوروبية في عصر النهضة، في دراسة ماضيها، وتقاليدها، وكل ما تبقى من هذه التقاليد، على نحو خصب لا يمكن الاستعاضة عنه.

فإذا كانت أفريقيا – ونكتفي بذكر هذا المثل – على وشك "الإفلات" من الأنثروبولوجيا، فهي لن تفلت من العلم. وعوضاً عن إجراء الدراسة من جانب علماء الأنثروبولوجيا بشكل رئيسي – أي محللي الخارج، الذين يعملون على ما هو ظاهر – سيتعين على علماء الواقع الخام، أو العلماء الخارجيين، من الآن فصاعداً، أن يتولوا هذه المهمة باستخدام الأساليب نفسها التي يستعين بها زملاؤهم المحليون. ولن يعود هناك من علماء أنثروبولوجيا، وإنما علماء لغة، وفقه اللغة، ومؤرخي الوقائع والأفكار. وسوف تستقبل الأنثروبولوجيا بجذل هذا الانتقال إلى أساليب أكثر دقة وغنىً من أساليبها، وهي متيقنة من تأديتها لمهمتها، طالما كانت وحدها قادرة على القيام بها، ومن ثم إتاحة الانتقال إلى مكامن متعددة للغنى البشري في مدار المعرفة العلمية.

التنوع، مبرّر وجود الأنثروبولوجيا

أما فيما يخص مستقبلها، فيبدو أنه مضمون على النحو الأفضل فيما يتجاوز مواقفها التقليدية. على المستوى الجغرافي أولاً، إذ بات علينا اليوم اجتياز مسافات أطول للوصول إلى آخر الشعوب المسماة بالبدائية، وقد أضحت هذه الشعوب نادرة. وعلى المستوى المنطقي أيضاً، إذ أننا ملزمون بالحفاظ على ما هو جوهري فحسب دون التوقف أمام النوافل. ونحن أثرياء بمكتسبات هلة جداً على هذا الصعيد، وباتت معارفنا واسعة جداً .

كما أن هذا المستقبل مضمون بمعنى مضاعف أيضاً: إذ أن انهيار القواعد المادية لآخر الحضارات البدائية يجعل من التجربة الخاصة، الحميمة، إحدى آخر وسائل التحقيق المتوافرة لدينا، في غياب الأدوات الأخرى المفقودة. أما الحضارة الغربية التي تتزايد تعقيداً يوماً بعد

آخر، وتواصل انتشارها في مجمل بقاع الأرض المأهولة، فلربما تشهد من الآن، في صميمها، هذه الفوارق والتباينات التي يقع على الأنثروبولوجيا دراستها، والتي كانت عاجزة عن الوصول إليها في الماضي إلا بمقارنة حضارات مختلفة ومتباعدة فيما بينها.

هنا تكمن من دون شك الوظيفة الثابتة للأنثروبولوجيا. فإذا كان يوجد، كما أكد عليه هذا العلم دوماً، "حداً أمثل من التنوع" يُعتبر بمثابة شرط دائم لتنمية البشرية، يمكن أن نكون على يقين أن الفروق بين المجتمعات والمجموعات لن تزول أبداً إلا لتتشكل ثانية على أصعدة أخرى. ومَن يدري ما إذا كانت النزاعات بين الأجيال التي تشهدها بلدان عديدة في هذا الظرف بالذات لا تشكل ضريبة يجب دفعها لضمان التجانس المطرد لثقافتها الاجتماعية والمادية؟

تبدو لنا هذه الظواهر مَرضيّة. لكن ما يميز الأنثروبولوجيا، منذ أن رأت النور، هو، على الدوام، شرحها وإعادة دمجها لهذه الظواهر ضمن سياق الإنسانية والعقلانية وسلوك البشر أنفسهم، بعدما كانت تبدو مرفوضة وغير مفهومة من جانب بشر آخرين. وهكذا، أسهمت الأنثروبولوجيا، في كل حقبة تاريخية منذ ولادتها، في توسيع أفق المفاهيم السائدة، الضيقة دائماً، بشأن ما هو بشري. وقبل أن نتأمل في إمكانية تلاشي هذا العلم، يجب أن نتصور أولاً حالة من الحضارة حيث يكون جميع البشر، في أعماق قلوبهم وأحاسيسهم، شفافين تماماً أمام سائر البشر، أياً يكن المكان الذي يقطنونه على وجه المعمورة، سواء في أسلوب الحياة أو التربية أو المهنة أو السن أو المعتقدات أو مشاعر الود والمشاركة الوجدانية أو التنافر.

وسواء أسفنا أو سُرنا لذلك – أو، ببساطة، اكتفينا بتسجيله – يبدو أن التطور الآلي وتنمية الاتصالات لا يقوداننا إلى مثل هذه الحالة. وطالما أن أساليب وجود وفعل بشر معيَّنين تطرح مشاكل على بشر آخرين، سيكون هناك حيز للتفكير والتأمل بشأن هذه الاختلافات، التي ستمثل على نحو متجدد دائماً مجالاً لدراسات الأنثروبولوجيا.[84]

[84] أزمة الأنثروبولوجياالمعاصرة ،كلود ليفيستروس ، **مجلة الانتروبوس** ، https://www.aranthropos.com، تاريخ الولوج 2022/05/26، على الساعة 10: 31.

IX. الدارسات الأنثرويولوجية في الجزائر قبل الاستقلال

إن اختلاف الحضارات وتباينها ولد احتكاكها ببغضها ومحاولة كل واحدة معرفة الأخرى والتعرف على ثقافتها و منتجاتها المادية والعلمية والثقافية، من هنا كانت ولادة ، الاستشراق؛ الذي تكون بفعل تطور حضارات الشرق عن الغرب مما ولد لدى الغرب رغبة في معرفة الشرق و مع مرور العصور وخاصة مع الموجة الاستعمارية فقد جاءت الدراسات الاستشراقية الأنثربولوجية لدارسة المجتمعات المغاربية و الجزائرية على وجه الخصوص باعتبار هذه المجتمعات خضعت لنفس الدولة وهي فرنسا، فما يثار في هذا الموضوع كإشكالية هو مدى تضمن الدارسات الأنثربولوجية للإيديولوجيا الاستعمارية.

أولا : الاستشراق كدارسة أنثروبولوجية

وجب التمييز بين الجانب العلمي وبين الجانب الإيديولوجي الاستعماري للاستشراق وبالأخص الدارسات الأنثروبولوجية و السوسيولوجية، ولهذا تم اختيار نموذج لكل طرح، فبيار بورديو خاص بالطرح العلمي ، و ألفرد بل خاص بالطرح الإيديولوجي المركزي و لكل طرح موضوعه الخاص به الذي اخترناه ف "بل" كانت دارسته حول المساجد بالأخص منطقة بني سنوس بتلمسان، وبورديو موضوعه حول المجتمع القبائلي.

ينطوي هذا الموضوع حول الاستشراق ، حيث ليس هناك مفهوم واضح ودقيق للاستشراق وذلك لتباين وتعدد المجالات التي عالجها و اختلاف الرؤى و الإيديولوجيات ، فهناك من يطلق هذا المفهوم على كل من يقوم بدراسة الشرق حتى و إن كان ليس من المتخصصين في الدراسات الإسلامية و لكنه بصفته يعنى بالقضايا الشرقية.

بهذا المعنى يمثل الاستشراق "تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدارسات المتعلقة بالشرقيين: شعوبهم وتاريخهم، وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، وبلدانهم وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات، وحضارتهم وكل ما يتعلق بهم .[85]

ثانيا : ألفرد بل وبيار بورديو

ليس غرضنا من عرض الأنموذجين هو أفضلية أحدهما على الآخر، وإنما هو المقارنة بينهما من خلال الاتجاهين السابقين للأنثروبولوجيا وهو ما نريده من خلال عرض أهم أفكارهما، فألفرد بل أهم دارسة إليه حول المساجد، بينما بورديو من خلال دارسته حول القبائل.

1. - ألفرد بل ودارسته لمساجد بني سنوس

ولد ألفرد بل Alfered Bel سنة 1873 بمدينة سالين الفرنسية وتوفي بمكناس سنة 1945 درس "بثانوية بيسانسون وحصل على شهادة البكالوريا العلمية سنة1890 م وبعدها أصبح أستاذا معيدا بإعداديتي أوكسير وبليدا 1891 ، ثم في ثانوية وهران سنة

[85] بركات عمار ، مطبوعة بيداغوجية :**مدخل إلى الانثروبولوجيا** ، جامعة مصطفى اسطمبولي ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، 2019-2020 ص : 37.

1897م، وحصل على البروفي في العربية سنة 1897سنة ، و مر إلى ثانوية الجزائّر سنة 1899.

تم تعويض دوتي بـ "بل" كأستاذ للآداب بمدرسة تلمسان، وتلقى تقديرا عند مدير المدرسة ويليام مارسي ، في سنة 1902 نشر في المجلة الآسيوية دارسة حول أغنية "الجازية، من خلال ملاحظات حول بعض الأساطير العربية وسلوكيات بني هلال".

وفي سنة 1903 نشر عملا تاريخيا في مجلة الإرساليات الإفريقية الصادرة عن مدرسة الآداب الجزائرية، وكانت الدارسة حول "بدو غانية: آخر ممثلي الإمبراطورية المرابطية وصارعهم مع الموحدين"، في سنة 1905 اختاره ويليام مارساي ليكون على رأس مدرسة الجزائر .

في نفس السنة شارك في المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنظم في الجزائر، وكانت مشاركته بعنوان:"بعض طقوس الاستمطار في وقت الجفاف لدى المسلمين المغاربيين". وقد راجع كولدزيهر هذه الدراسة في مجلة تاريخ الأديان و قدر منهجه المقارن ومقترباته الإثنوغرافية العامة، للطقوس المستعملة لدى البدائيين من جهة أولى، وفي البقايا الوثنية الشعبية في أوروبا من جهة أخرى.

نشر سنة 1908 في مجلة دارسات إثنوغرافية و سوسيولوجية مع أرنولد فان غينب عضو المعهد الإثنوغرافي بباريس مقالا بعنوان "السكان المسلمون في تلمسان " و سنة بعدها اقترح عليه ليكون مديرا لمدرسة الجزائر ، لكنه فضل أن يبقى في تلمسان التي شغل فيها عدة مناصب بتكليف من الحكومة الفرنسية بالجزائر .

نشر سنة 1911-1913 باشتراك مع كوتسي بوالي نص وترجمة "تاريخ بني عبد الواد وملوك تلمسان" المؤلف من قبل أخ عبد الرحمن ابن خلدون. في سنة 1913 و برفقة بروسبير ريكارد أغنيا الدارسات حول الصناعات المحلية بالجزائر، وأنجزوا دارسة بعنوان "عمل الغزل ب تلمسان ". كما ساهم بأعمال في المجلة الأركيولوجية التابعة للمتحف الأركيولوجي في تلمسان .

استدعاه "ليوطي" لينظم ويشرف على تعليم الأهالي في منطقة مكناس و فاس المغربيتين ، وفيها أصبح مديرا للإعدادية الإسلامية. ورأى أنه يجب التخلي عن إرادة إصلاح الجامع-الجامعة القرويين القديم وتركه يموت بهدوء ، لكنه سرعان ما تصادم مع غاستون لوث القادم من تونس ، الذي اقترح تطبيق نموذج المدارس الجزائرية في المغرب، وتدريس اللغة العربية فقط في الإعدادية الإسلامية بفاس والرباط. وهو التوجيه الذي لم يتخلى عنه إلا سنة 1918.

واصل بل تطبيق منهجه للاكتشاف التاريخي و الإثنوغرافي ونشر "المخطوطات العربية بفاس " 1917-1919 م، وفهرس الكتب العربية بمكتبة جامع القرويين بفاس، ولوحة الصناعات الزليج بفاس 1918، والمجموعة البيوغرافية "تكملة الصلة" لابن العبار بالاشتراك مع محمد بن شنب سنة 1920 م وأصدر "تاريخ المدينة من خلال المرينيين المعاصرين زهرة الآس" سنة 1923 . عاد إلى تلمسان بطلب من جورج مارساي، رفقة زوجته التي كانت مفتشة للتعليم الأهلي الفني المهني والصناعي في الجزائر سنة 1921 ، وتابع معها خطة الحفاظ وتكييف الحرف التقليدية ، وتثمينها في الوقت ذاته مع السياحة الثقافية.

حصل سنة 1936 على التقاعد وأسس جمعية أصدقاء تلمسان القديمة، واستقبل كرئيس للمؤتمر الثاني لفيدارلية الجمعيات العالمة لإفريقيا الشمالية. ودافع عن مشروع بحث واسع حول الصناعات التقليدية المحلية دون أن ينجح في ذلك .

استقر بين 1942-1943 بمكناس عند ابنه لوسيان ليشتغل على الجزء الثاني من كتاب "الدين الإسلامي في بلاد البربر" الذي صدر جزءه الأول سنة 1938 م، وتوفي قبل إنجاز هذا العمل عن سن تناهز الثانية والسبعين.

لم يحظ ألفرد بل باهتمام كبير لدى المهتمين بتاريخ المعرفة الفرنسية بالجزائر والمغرب، مقارنة بزميليه رينيه باسيه و إدموند دوتي من مدرسة الجزائر. فأندري آدم ذكر له12 عملا كما أورد ذلك في البيبليوغرافيا النقدية، علما أن آدم لا يذكر إلا الدارسات التي أنجزت حول المغرب. أما آلان مسعودي، الذي وصف بل بالمستعرب، فذكر دارسات لم يحصها آدم، وهي حوالي ثمان دارسات يمكن اعتبارها بطلب من الحكومة الفرنسية بالجزائر، ومعظمها

أنجزت حول الجزائر. أما جاك بيرك في تأريخه للسوسيولوجيا المغاربية فتجاهل بل تماما. وفي الاتجاه نفسه سار الخطيبي حيث لم يذكره على أساس أن أبحاثه ليست سوسيولوجية.

ولنأخذ دراسته "بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين"؛ فهي دراسة تاريخية أثرية لمساجد قرية بني سنوس وتتكون من:

- بلد بني سنوس وسكانه: نبذة تاريخية.
- ديانة بني سنوس ومساجدهم .
- صيانة مساجد بني سنوس ودفع أجور عمالها .
- دارسة مساجد بني سنوس الرئيسية:

- قرية تافسرة ومسجدها
- قرية الثلاثا ومسجدها
- قرية الخميس ومسجدها
- قرية بني عشير ومسجدها .

يعتبر محمد حمداوي دراسة "بل" دراسة قيمة بما تحمله من وصف دقيق لمساجدها ولسكان المنطقة، غير أنها بحكم أنها كانت موجهة للسلطة الفرنسية الاستعمارية، وإن كانت نوايا "بل" حسنة وغرضه المحافظة على المساجد الأثرية والعتيقة، والمحافظة عليها بترميميها، إلا أن السلطة الاستعمارية تجاهلتها، ولكن في الوقت ذاته استغلت دارسة ألفرد بل لتسهيل التحكم في المساجد، بتعيين أئمة رسميين ، يقومون بممارسات سلبية، كسرقة أموال الوقف، وهذا ما يشير إليه ألفرد بل بقوله: "يجب الاعتراف بأن هذه المصلحة (الحبوس) التي يسهر عليها المسلمون لم يكن يعهد بها دائما ، إلى موظفين منضبطين و نزهاء ، وأنه عادة ما كانت أموال الحبوس تختلس من طرف الموظفين المسلمين الذين كانتَ توكل إليهم مهمة حفظها ، لكن ما يعاب عليه انه أطلق حكما مطلقا عاما و شاملا ، و لم يستثن بوجود أئمة آخرين نزهاء و شرفاء .

وبالتالي تعتبر دارسة بل ذو قيمة علمية إلا أنها بحكم ارتباطها بالاستعمار جعل المفكرين الآخرين ينظرون إليها نظرة سلبية إن لم نقل إهمالها.[86]

2. بيار بورديو و دراسته للمجتمع القبائلي

يمثل بورديو أحد رواد اتجاه القطيعة[87] في الأنثروبولوجيا، حيث ولد بيير بورديو في عام 1930 م في "دنغيون" الواقعة في المنطقة الجبلية المعروفة بـ "جبال البرنيس" في جنوب فرنسا وكان والده يعمل ساعيا للبريد. يمتاز سكان هذه المنطقة بلكنة فرنسية تميزهم عن باقي مناطق فرنسا ، وقد ظلت هذه اللكنة تميز بورديو طوال حياته وكانت سببا في جعل سكان باريس يعتقدون أنه أجنبي ، وربما كان هذا الانتماء الجغرافي سببا في تشكل إحساسه وتجربته باعتباره غريبا أو أجنبيا مما جعله يمتلك منظورا مختلفا مكنه بعد ذلك من الوقوف على رؤية مختلفة للحياة وللثقافة وللمجتمع في فرنسا.

التحق بورديو خلال عامي 1950-1951 كغيره من معاصريه، مثل «جاك داريدا» على سبيل المثال بالمعهد الباريسي المعروف والرفيع المستوى "معهد لويس العالي" كما حاز عام 1955 ، على الإجازة لتدريس الفلسفة من "دار المعلمين العليا"، والمعروفة بـ "التبريز " وكان أستاذه آنذاك الفيلسوف الفرنسي "لوي التوسير". انتقل بورديو بعد ذلك للعمل ، في الجزائر كجزء من تأديته الخدمة العسكرية الإلزامية، وقد أتاحت له تجربته هناك، بصفته مدرسا معاينة السياسات الكولونيالية الفرنسية عن قرب، إلا أن إقامته في الجزائر لم تدم طويلا إذ اضطر لمغادرتها قسريا، م وذلك في ضوء تداعيات الأوضاع السياسية سنة 1960 الناتجة عن نضال الشعب الجزائري ضد السلطات الاستعمارية الفرنسية هناك، كانت سنواته تلك حدثا تأسيسيا ، إذ قادته تجربته في الجزائر للانطلاق من الفلسفة إلى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. عندما عاد بورديو إلى فرنسا بعد عمله الحقلي في الجزائر، عمل في بداية سنواته أستاذا مساعدا في "جامعة السوربون" ثم في "جامعة ليل" خلال تلك السنوات 1960-1962 ، قام

---

[86] بركات عمار ، مطبوعة بيداغوجية :**مدخل إلى الانثروبولوجيا ، م س د ، ص ص : 44-47**

[87] ظهرت أنثروبولوجيا القطيعة كاتجاه ضد الأنثروبولوجيا الانقسامية في كل مبادئها، لأنها اكتشفت أن المجتمع الجزائري هو مجتمع لا يمكن طبيق عليه الانقسامية القبلية، وهو ليس بمعزل عن الحداثة وعن التفكير وقد مثله أنثروبولوجيون أمثال: جاك بيرك J.Berque ، (P.Bourdieu) وبيار بورديو، و جيرمين تيليون و غيرهم .

بورديو بالاطلاع المدروس على أفكار "إميل دوركايم" و"ماكس فيبر" و"كارل ماركس" و"ألفرد شاتز" و"فردينان دي سوسور"، كما قام بإلقاء محاضرات حول أفكار ونظريات هؤلاء المفكرين الاجتماعيين وكذلك حول الأنثروبولوجيا البريطانية وعلم الاجتماع الأمريكي. لقد وفرت له تلك السنوات الفرصة للتعرف والعمل المباشر مع "ريمون أرون" حيث تمكن الأخير من تلمس إمكانيات بورديو الفكرية.

وأصبح بورديو بعد ذلك ، من أهم علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيون في فرنسا بتعدد مؤلفاته من الأنثربولوجيا إلى التربية وحتى الإعلام والسياسة حتى وافته المنية سنة 2002 م وتمثل أهمية بورديو في مكانته في الأنثروبولوجيا و السوسيولوجيا لأسباب أهمها :

- استطاعته في التغلب على التعارض والجدل الدائر حول العلاقة بين البناء والفعل.

- انشغاله بالعمل الإمبريقي التطبيقي المنتظم، واستنادا إلى الإثنوغرافيا وأساليب المسح الاجتماعي والتنظير النقدي.

بالإضافة إلى قطيعته مع المعرفة الاستعمارية وهذا ما يميزه عن ألفرد بل حيث أن بحوث بل كانت موجهة أما بورديو فقد كانت دارسته حول القيم القبائلية كالشرف، وكيف أن بورديو استطاع أن يجد علاقة بين الشرف وبين السوسيولوجيا الغربية.

في إطار إقامته في الجزائر كمؤدي للخدمة الوطنية كانت له ملاحظة بالمشاركة مع سكان القبائل، وقد وظف من خلال دارسته الميدانية واستنتج مفهوم "الرأسمال الثقافي والرأسمال الرمزي" وقد ركز عليه بورديو باعتباره قابل للتحول إلى رأسمال مادي أو اقتصادي، وهذه السمة في رأي بورديو عامة في كل الاجتماعات البدائية والحديثة على السواء، ولا يوجد مجتمع بدونها.

وبناء على ذلك فإن رأسمال الثقافي هو أنساق رمزية وهو موضوع صراع بين القوى الاجتماعية المختلفة، وهدف كل قوة اجتماعية في صارعها الاجتماعي إلى الهيمنة على حقل الثقافة وإنتاج وتوزيع أرس المال الثقافي فيه وذلك بغية احتكار العنف الثقافي في المجتمع؛

"أي احتكار قدرة فرض معاني ومبادئ بناء الوقائع الاجتماعية وفق مصالح هذه القوة الاجتماعية..وتحويل ما تمتلكه من رأس مال مادي إلى رأس مال ثقافي كغطاء مقبول ومشروع تحمي به مصالحها الاقتصادية.

استخلص بورديو هذا المفهوم من خلال دراسته للمجتمع القبائلي في الجزائر، ومثال ذلك الرجل يتمتع بالسمعة والحسب والنسب يستطيع أن يذهب إلى السوق بلا مال ويأتي معه بأشياء من السوق معتمدا على اسمه وسمعته وجاهه.

ومنه فإن دارسة كل من بل و بورديو وإن اختلف موضوعها إلا أنهما يختلفان من حيث الإيديولوجية التي كانت تتحكم في دارستها، فإيديولوجية "بل" كانت موجهة من قبل الاستعمار، رغم علميتها، وبورديو كانت في قطيعة مع الاستعمار ومع إيديولوجيته مما جعلها أكثر علمية من دارسة ألفرد بل[88] .

[88] بركات عمار ، مطبوعة بيداغوجية :**مدخل إلى الانثروبولوجيا** ،م س د ، ص ص :47-49

المراجع

الكتب باللغة العربية

1. أحمد،أبو هلال،**مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية**، المطابع التعاونية، الأردن، عمان، 1974.
2. أحمد بوزيد، : ماذا يحدث في علوم الإنسان والمجتمع، مجلّة عالم الفكر، مجلّد 8،عدد 1 ،الكويت، 1977 .
3. كلايدكلاكهون:**الإنسان في المرآة**، ترجمة : شاكر سليم، بغداد، 1964 .
4. رالف لينتون،:**الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1974.
5. إدوارد بريتشارد، **الأنثربولوجيا الاجتماعية**، ط 5، ترجمة : أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ، (1975) .
6. بيلز، رالف ؛هويجرا، هاري **مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة**، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة ،(1977) .
7. اسماعيل قباري محمد ،**الأنثروبولوجيا العامة**، منشأة المعارف بالإسكندرية ،1973.

8. وصفي، عاطف **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية، بيروت ،1971 .
9. محمد، مؤنس، الحضارة 19 دارسة في أصول وعوامل قيامها و تدهورها ، علم المعرفة ،الكويت ، 1978 .
10. حسين، فهيم، قصد -فصول في تاريخ الإنسان، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1986.
11. أبو عبد الله بن بطوطة ،**رحلة ابن بطوطة**، دار التراث، بيروت ، 1968.
12. عبد الرحمان ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج1،علي عبد الواحد وافي ،القاهرة ، 1966.
13. احمد الخشاب ، **دراسات انثروبولوجية** ، دار المعارف ، مصر ، 1970
14. سامية، جابر. علم الإنسان – مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية، بيروت . 1991 .
15. محمد، رياض. **الإنسان -دراسة في النوع والحضارة**، دار النهضة العربية، بيروت. 1974 .
16. ميلفيل. ج،هرسكوفيتز. **أسسالأنثروبولوجياالثقافية**،ترجمة : رباح النفاخ،وزارة الثقافة،دمشق . 1974
17. سورة الأنفال، آية:57
18. نادية شريف العمري، **أضواء على الثقافة الإسلامية**.
19. مجموعة من الكتب (1978)، **نظرية الثقافة** (الطبعة 223)،الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب.
20. مجموعة من المؤلفين، **مجلة جامعة أم القرى**.
21. حسين فهيم: **قصة الأنتروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان**، عالم المعرفة، الكويت، العدد98، فبراير1986م، ص:14
22. جاك لومبار: **مدخل إلى الإثنولوجيا**، ترجمة: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي
23. رضوان بوجمعة :**أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل -محاولة تحليل أنثروبولوجي** .

24. مجموعة مؤلفين (2004) **المعجم الوسيط.** القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ط 4.

25. أنتوني غدنز (2005)**علم الاجتماع.** ترجمة فايز الصياغ بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

26. جان-فرانسوا ليوتار، **في معاني ما بعد الحداثة، نصوص في الفلسفة والفن**،ترجمة وتعليق السيد لبيب، ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء -المغرب، الطبعة الأولى 2016.

27. ابن منظور، أبو الفتوح محمد بن مكرم: **لسان العرب**، الجزء الخامس عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون طبعة،بدون سنة.

28. ابن جني، أبو الفتوح عثمان: **الخصائص**، اج 1،تحقيق عبد الحكيم محمد،المكتبة الوقفية، بدون طبعة، بدون سنة.

29. سويد عبد الله ومصطفى عبد الله: **اللّغة العربية**، ط 3،دار الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ليبيا، سنة 1982.

30. سعيد أحمد بيومي**أم اللّغات، دراسة في خصائص اللّغة العربية والنهوض بها**، ط 1 ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، سنة 2002.

31. أبوبكر العزّاوي: **اللّغة والحجاج**، دار إفريقيا الشرق، المملكة المغربية، الطبعة الأولى.

32. حسن حنفي: مقال عنوانه: **الهوية واللغة في الوطن**، رابطه في موقع التجديد العربيhttp://www.arabrenewal.info/2010-06-11 :

33. الزبادي محمد فتح الله: **العولمة وآثارها على العالم الإسلامي**،منظمة المؤتمر الإسلامي، قطر، سنة 2003، الدورة الرابعة عشر.

34. جيلالي بوبكر: **العولمة مظاهرها وتداعياتها، نقد وتقييم**،ط 1 ،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، سنة 2011.
35. بكار عبد الكرم: **العولمة، طبيعتها وسائلها،تحدياتها**،ط 1 ،دار الإعلام للنشر والتوزيع، سنة 2000.
36. بن سهو محمد:**العولمة**، دار البيارق، عمان، الأردن، بدون طبعة، سنة 1998.
37. ريمون طحان: **اللغة العربية وتحديات العصر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، بدون طبعة، وبدون سنة.
38. سليمان نايف:**الجامع في اللغة العربية** ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، بدون طبعة، سنة 1996.
39. جيلالي بوبكر: **العولمة مظاهرها وتداعياتها، نقد وتقييم**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2011.
40. أزمة الأنثروبولوجيا المعاصرة ،كلود ليفيستروس ، **مجلة الانتروبوس** .
41. بركات عمار ، مطبوعة بيداغوجية **:مدخل إلى الانثروبولوجيا** ، جامعة مصطفى اسطمبولي ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، 2019-2020 .

الكتب باللغة الانجليزية

1. "**social anthropology**", www.encyclopedia.com, Retrieved 2020-01-25. Edited.
2. **Special Fields Of Anthropology**", www.britannica.com, Retrieved 2020-01-25. Edited
3. Nicholson, C .(1968**) Anthropology and Education** , London.
4. "**social anthropology**", www.encyclopedia.com, Retrieved 2020-01-25. Edited.
5. Barnouw , V. **Cultural Anthropology** , Home wood Illinois, IrwenInc1972
6. Darnell, Regna and editor .**Reading in the History of Anthropology**, University of Illinois .1978.
7. John. Anderson, **Conjuring with Ibn Khaldon: from an Anthropological point of view,** Leiden .1984.

8. Wendell, Oswalt. **Other People, Other Customs**, Holt Rinehart and Winston Inc .1972.
9. Daniel .J, Boorstin, **The Discoveries a History of Man's** Search to Know his World and Himself .Vintage Books edition .1985.

10. Louis M. Smith., **« Ethnography** », Encyclopedia of EducationalResearch, 5th edition, New York, Macmillan, 1982.
11. Hymes, Dell (1964). "**Introduction:Toward Ethnographies of Communication**". American Anthropologist. **66** (6): 1–34.
12. *Hymes, Dell (1976). Foundations in sociolinguistics: **An ethnographicapproach** . Philadelphia:University of PennsylvaniaPress.*
13. Hymes, Dell (1962). **"The ethnography of speaking**".
14. J., Richerson, Peter (2005) ،**Not by genesalone : how culture transformedhumanevolution** ،Boyd, Robert, 1948- ،Chicago: University of Chicago Press ،ISBN 978-0226712840 ،OCLC 54806438.
15. "**cultural evolution | social science"** ،Encyclopedia Britannica
16. **World Religions and Social Evolution of the Old World OikumeneCivilizations: A Cross-cultural Perspective** (First ed.). Lewiston, New York: Edwin MellenPress.2004 ، pp. 1–8..

الكتب بالفرنسية

1. Jean Copans, **L'enquête ethnologique de terrain**, Paris, Nathan, 1998
2. Coulon A. **L'école de Chicago**. Paris : PUF, 1992

مواقع الانترنت

1. **Whatis the importance of theories in anthropology**", www.quora.com, Retrieved 6-1-2020. Edited

2. عادل عامر ، **طبيعة الثقافة** ، جريدة أبو الهول ، https://www.abou-alhool.com/ ، عدد : 2021-02 ، تاريخ الولوج ، 18 نوفمبر 2021 ، على الساعة 11:33 صباحا .